دَور أفريقيا

إرشاد رسولي منبثق عن السينودس
لقداسة البابا بينيديكت السادس عشر
عن الكنيسة في أفريقيا،

موجّه إلى الأساقفة والإكليروس والمكرّسين
والمؤمنين العلمانيين
في سبيل المصالحة والعدالة والسلام

«أنتم ملح الأرض...
أنتم نور العالم» (متى ٥، ١٣ و١٤)

دار نشر مدينة الفاتيكان

ترجمة الأب منصور مستريح الفرنسيسكاني

مقدّمة

١ـ دور أفريقيا في سبيل الرب يسوع المسيح. كنز ثمين نزفّه ، في مطلعَ هذه الألفية الثالثة، إلى الأساقفة والكهنة والشمامسة الملتزمين والمكرّسين ومدرّسي التربية الدينية والعلمانيين في هذه القارّة الحبيبة والجزر المجاورة لها. إن هذه الرسالة تطالب أفريقيا بالتعمّق في الدعوة المسيحية، وتدعوها إلى عيش المصالحة بين الأفراد والجماعات باسم يسوع، وتدعم للجميع السلام والعدالة في الحق.

٢ـ أحببت دائما أن أجمع بين الاجتماع الثاني الخاص بأفريقيا المنبثق عن سينودس الأساقفة، المنعقد من ٤ إلى ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٩، وبين اجتماع سنة ١٩٩٤، اجتماع اتسم بأنه «حدَث رجاء وقيامة، في نفس الوقت الذي بدا وكأنّ الشؤون الإنسانية تدفع أفريقيا بالأحرى نحو الإحباط واليأس». [1] إنّ الإرشاد الرسولي لسلفي الطوباوي يوحنا بولس الثاني، «الكنيسة في أفريقيا» المنبثق عن السينودس، ضمّ توجيهات آباء السينودس وخياراتهم الرعوية في سبيل بشرى إنجيلية جديدة للقارّة الأفريقية. كان جديرا بنا في نهاية العقد الأول من هذه الألفية الثالثة، أن نبثّ الروح في إيماننا ورجائنا، مساهمةً منا في بناء أفريقيا متصالحة، عن طريق الحق والعدالة والمحبة والسلام (أنظر المزمور ٨٥، ١١)!. إني لا أنسى، مع آباء السينودس، أنه «إذا لم يبن الربّ البيت فعبثا يتعب البنّاؤون» (مزمور ١٢٧، ١).

---

١ يوحنا بولس الثاني، «كنيسة أفريقيا»، إرشاد رسولي منبثق عن السينودس (١٤ سبتمبر ١٩٩٥)، ١؛ «أعمال الكرسي الرسولي ٨٨ (١٩٩٦)، ٥.

٣ ـ حيوية كنائسية فائقة وتطوّر المفهوم اللاهوتي للكنيسة كأسرة الله[٢]. كانا أبرز النتائج المنظورة لسينودس ١٩٩٤. رغبةً مني في إعطاء القارّة الأفريية والجزر المجاورة لها دفعة جديدة مفعَمة بالرجاء والمحبة الإنجيلية. رأيت أنه لا بدّ من عقد اجتماع جديد على شكل سينودس. ذلك إن جلسات السينودس المؤيَدة يوميا بالدعاء إلى الروح القدس وبصلوات أعداد لا تُحصى من المؤمنين، أنتجت ثمارا آمل أن أنقلها بواسطة هذه الوثيقة إلى الكنيسة الجامعة. وفي مقدّمتها إلى الكنيسة في أفريقيا[٣]، لكي تُصبح فعلا «ملح الأرض» و «نور العالم» (راجع متى ٥ ١٣ و١٤)[٤]. والكنيسة، بما يحييها من «إيمان يتحوّل إلى أعمال بواسطة المحبّة» (غل ٥، ٦) تريد أن تُثمر ثمار المحبّة: أي المصالحة والسلام والعدالة (راجع ١ كو ١٣، ٤ـ٧). فهذه هي رسالته المميّزة.

٤- نوعية مداخلات آباء السينودس وغيرهم من شاركوا في الجلسات، لفتت انتباهي. فالواقعية وبُعد النظر في مساهماتهم أكّدا نضوج القارّة المسيحي. لم يخشوا من مواجهة الحقيقة وحاولوا بإخلاص أن يفكّروا بحلول ممكنة لمشاكل تواجهها كنائسهم الخاصة، بل والكنيسة الجامعة أيضا. تحقّقوا أيضا أن بركات الله تعالى آب الجميع لا تُحصى. فالله لا يهمل قط شعبه. أظن أنه لا ضرورة للإسهاب، في شأن الأوضاع الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية والبيئية التي يعيشها كل يوم سكّان أفريقيا. فهي مما لا يمكن أن نجهله. ومما يؤسَف له إن لأفريقيين في مقدّمة من يعرفون أن هذه الأوضاع في كثير من الأحيان صعبة ودرامية، لا بل ومأسوية. وانا أحيّي الأفريقيين وجميع مسيحيي أفريقيا الذين يواجهونها بشجاعة وكرامة. وهم يحبّون ـ ومن حقّهم ـ أن يعترف الآخرون بهذه الكرامة ويحترموها. وانا بوسعي أن أؤكّد لهم أن الكنيسة تحترم أفريقيا وتحبّها.

٢ الجمعية الأولىالخاصّة بأفريقيا المنبثقة عن سينودس الأساقفة، »رسالة الختام« (٦ مايو ١٩٩٤)، ٢٤ـ٢٥؛ يوحنا بولس الثاني، »الكنيسة في أفريقيا«، إرشاد رسولي منبثق عن السينودس (١٤ سبتمبر ١٩٩٥) ٦٣؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨٨ (١٩٩٦) ٣٩ـ٤٠.

٣ راجع الجمعية الأولى الخاصّة بأفريقيا، المنبثقة عن سينودس الأساقفة، المقدمة١

٤ المرجع نفسه، المقدمة رقم٢.

٥ـ إزاء التحدّيات الكثيرة التي ترغب أفريقيا في مواجهتها، لتصبح أكثر فأكثر أرض مواعيد، قد تُصاب الكنيسة ـ على غرار إسرائيل ـ بالإحباط. لكنّ آباءنا في الإيمان أوحوا إلينا ما ينبغي أن نتّخذه من مواقف صائبة تجاهها. فهكذا موسى خادم الرب «بالإيمان... اصطبر كأنه يعاين الذي لا يُرى» (عبر ١١، ٢٧). وكاتب الرسالة إلى العبرانيين يؤكّد ذلك: «الإيمان قيام المرجوّات فينا وبرهان غير المنظورات» (١١، ١). لذلك أناشد الكنيسة بأسرها أن تنظر إلى أفريقيا نظرة الإيمان والرجاء. فيسوع المسيح، الذي دعانا أن نكون «ملح الأرض» و«نور العالم» (متى ٥، ١٣ و١٤)، يوفّر لنا قدرة الروح القدس لتحقيقٍ أكمل لهذا الهدف السامي.

٦ ـ كان في نيّتي أن يشكّل قول المسيح «أنتم ملح الأرض... أنتم نور العالم» الوصية التي يهتدي بها السينودس، بل والفترة التي تليه. وكنت قد قلت في الكلمة التي ألقيتها في ياوندي على جماعة المؤمنين في أفريقيا: «لقد جاء الله نفسه بواسطة يسوع منذ ألفَي سنة ، جاء بالملح والنور لأفريقيا. ومنذ ذلك الحين ما زالت بذرة حضوره دفينة في أعماق هذه القارّة الحبيبة وقلبها، وتَنبُت شيئا فشيئا عبر أحداث تاريخها الإنساني ومن غيرها»[٥].

٧ ـ إن الإرشاد «الكنيسة في أفريقيا» قد تبنّى فكرة الكنيسة «أسرة الله» كفكرة أساسية. ولمس آباء السينودس فيها «تعبيرا ملائما بنوع خاص لطبيعة الكنيسة في أفريقيا. فالعبارة تؤكّد فعلا الحِرص على الآخر، على التضامن، على العلاقات الحميمة، والضيافة والحوار والثقة»[٦]. يدعو هذا الإرشاد الأسَر المسيحية في أفريقيا إلى أن تصبح «كنائس منزلية»[٧] لمساعدة الجماعات المنتمية إليها على الإدراك أنهم جميعا

٥ بينيديكت السادس عشر، «خطبة لأعضاء المجلس الخاص بأفريقيا في سينودس الأساقفة» (ياوندي، ١٩ مارس ٢٠٠٩)؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٣١٠.

٦ يوحنا بولس الثاني، «الكنيسة في أفريقيا» ، إرشاد رسولي منبثق عن السينودس (١٤ سبتمبر ١٩٩٥) ٣٦؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨٨ (١٩٩٦) ٣٩ـ٤٠.

٧ راجع رقم ٢٩؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨٨ (١٩٩٦)، ٥٧ـ٥٨؛ والمجمع الفاتيكاني الثاني ، و «نور الأمم»، دستور عقائدي عن الكنيسة، ١١؛ و «النشاط الرسولي»، مرسوم رسالة العلمانيين، ١١؛ ويوحنا بولس الثاني، «ألفة الأسرة»، إرشاد رسولي منبثق عن السينودس (٢٢ نوفمبر ١٩٨١) ٢١؛ وأعمال الكرسي الرسولي ٧٤ (١٨٩٢)، ١٠٤ـ١٠٦.

من نفس الجسد الواحد. هذا التشبيه هام لا بالنسبة إلى الكنيسة في أفريقيا، بل وإلى الكنيسة الجامعة، في عصر يتهدّد الأسرة أولئك الذين يريدون حياةً بعيدة عن الله. أن نحرم القارّة الأفريقية من الله، قد يعني قتلها بالموت البطيء، بحرمانها من الروح.

٨ـ في تقليد الكنيسة الحيّ، الاستجابة لدعوة الإرشاد «الكنيسة في أفريقيا»[٨] بالنظر إلى الكنيسة كأسرة وأخوية، يعني إحياء صفة من تراثها. ففي هذه الحقيقة، حيث يسوع المسيح هو «البكر ما بين إخوة كثيرين» (رو ٨، ٢٩) صالح الإنسانية مع الله الآب (راجع أفسس ٢، ١٤-١٨)، ومنح الروح القدس (انظر يو ٢٠، ٢٢)، تصبح الكنيسة بدورها ناقلة لهذه البشرى السارّة: بان كل إنسان هو ابن الله. إنها مدعوة إلى نقلها إلى الإنسانية بأسرها، معلنة الخلاص الذي حقّقه المسيح من أجلنا، ومحتفلة بالشركة مع الله، بعيش الأخوّة في التعاون.

٩ـ الجراحات التي خلّفتها الصراعات الإتنية المؤلمة بين الإخوة والعبودية. ما زالت القارّة حتّى أيامنا هذه في مواجهة مع نزاعات وأشكال جديدة من العبودية والاستعمار. كان الاجتماع الخاص قد شبّهها بالإنسان الذي وقع في أيدي اللصوص، تُرك ينازع على قارعة الطريق (راجع لو ١٠، ٢٥ـ٣٧). هذا هو السبب المؤدّي إلى الحديث عن «تهميش» أفريقيا. هناك قصّة نشأت في أرض أفريقية تجعل من السامري الصالح والرب يسوع نفسه شخصا واحدا، وتدعو إلى الرجاء. لقد كتب إقليمس الإسكندري يقول: «من تحنّن علينا أكثر منه، نحن الذين كنا ـ إن صحّ هذا التعبير ـ قد حكمت علينا بالموت قوّات ظلمات هذا العالم، بعد أن أنهكنا جمٌّ من الإصابات والمخاوف والرغبات والبغضاء والقلق والكذب والملذات؟ الطبيب الوحيد لهذه الإصابات هو يسوع»[٩].

هناك إذن أسباب عدّة للأمل وعمل النعمة. فرغم الأوبئة الفتّاكة، على سبيل المثال ـ كالمالاريا ونقص المناعة، والسلّ وغير ذلك ـ مما يحصد في

٨ أنظر رقم ٦٣؛أعمال الكرسي الرسولي ٨٨ (١٩٩٦)، ٣٩ـ٤٠.
٩ «مَن من الأغنياء يخلُص؟» ٢٩، مجموعة الآباء اليونانيين ٩، ٦٣٣.

أرواح الشعب ويحاول الطب بنجاح مطّرد القضاء عليها. فأفريقيا ما زالت تحافظ على بهجة الحياة، وتحتفل بالحياة الآتية من الخالق، باستقبال المواليد لنموّ الأسرة والمجتمع الإنساني. كما وأرى داعيا من دواعي الرجاء في التراث الفكري والثقافي والديني الثري الذي تتمتّع به أفريقيا. إنها ترغب في الحفاظ عليه واكتشافه بالمزيد وتعريف العالم به. إنها لمساهمة جوهرية وإيجابية.

١٠ ـ جمعية السينودس الثانية لأفريقيا ركّزت على موضوع المصالحة والعدالة والسلام. وما قُدّم لي من توثيق وافر مع الجلسات ـ الخطّة وورقة العمل، والتقارير المدوّنة قبل وبعد المناقشة، ومداخلات مجموعات العمل ومحاضرها ـ كل ذلك يدعو إلى «تحويل اللاهوت إلى عمل رعوي، أي إلى خدمات رعوية واقعية وعملية، تُطبّق فيها رؤى الكتاب المقدس والتقليد على عمل الأساقفة والكهنة في زمان ومكان محدّدين»[١٠].

١١ ـ إنّي أوجّه إذن هذا اليوم بدافع الغيرة الأبوية والرعوية، هذه الوثيقة لأفريقيا، التي تعرّضت لصدمات وصراعات نعرفها. إن الإنسان مجبول بماضيه لكنه يعيش ويسير في يومه الحاضر. ويتطلّع إلى المستقبل. وأفريقيا، كسائر أقطار العالم، تعيش صدمة ثقافية تهدّد الأسس الألفية لحياتها الاجتماعية، وتجعل أحيانا اللقاء مع الحداثة صعبا. وفي مواجهة هذه الأزمة الأنتروبولوچية، بوسع القارّة الأفريقية أن تجد سبلا للرجاء بالمبادرة إلى حوار مع أعضاء الهيئات الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية. ستحتاج عندئذ إلى أن تعود وتكتشف وتعزّز مفهومها عن الإنسان وعلاقته مع الواقع، وبناء هذا المفهوم على تجديد روحي عميق.

١٢ ـ يوحنا بولس الثاني أشار في إرشاده «الكنيسة في أفريقيا» «إلى أنه رغم الحضارة المعاصرة في "عالم أصبح كقرية"، ما زال روح الحوار والسلام والمصالحة، في أفريقيا وغيرها من أقطار العالم، بعيدا عن الاستقرار في

١٠ بينيدكت السادس عشر، «خُطبة للدائرة الرومانية» (٢١ ديسمبر ٢٠٠٩)؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠٢ (٢٠١٠) ٣٥.

قلوب جميع الناس. فالحروب والصراعات والنزاعات العرقية والعدوانية ما زالت مسيطرة بكثرة على العلاقات الإنسانية»[11]. الرجاء الذي يشكّل صفة من صفات الحياة المسيحية الحقيقية، يذكّرنا بأن الروح القدس يعمل في كلّ مكان، حتّى في القارّة الأفريقية، وأن قوى الحياة المنطلقة من الحب، تغلب دائما قوى الموت (راجع Ct ٨، ٦ـ٧). لذلك رأى أباء السينودس أن ما تتعرّض له البلاد والكنائس المختلفة في أفريقيا من صعوبات، لا تمثّل عقبات لا يمكن التغلّب عليها، بل تتحدّى أفضل ما فينا: خيالنا وذكاءنا ودعوتنا للسير على خطى المسيح بلا تحفّظ، والبحث عن الله «الحب الأبدي والحقيقة المطلقة»[12]. فالكنيسة تشعر مع جميع أبطال المجتمع الأفريقي أنها مدعوّة إلى مواجهة هذه التحدّيات. إن الأمر يشكّل نوعا ما ضرورة إنجيلية.

١٣ـ أحب أن أقدّم بهذه الوثيقة ثمار السينودس وحوافزه، وأدعو جميع ذوي الإرادة الصالحة إلى وضع أفريقيا في اعتبارهم بنظرة إيمان ومحبّة، لمساعدتها على أن تصبح ـ بعون المسيح والروح القدس ـ نور العالم وملح الأرض (راجع متى ٥، ١٣ و١٤). كنز ثمين كامن في قلب إفريقيا، ألمح فيها، بفضل ثروات أبنائها الإنسانية والروحية الفائقة، وثقافاتها المتنوّعة وأرضها وبُنيتها التحتية ذات الموارد الهائلة، «رِئة روحية عملاقة لإنسانية تبدو أنها تمرّ بأزمة في الإيمان والرجاء»[13]. ومع ذلك فإن أفريقيا للحفاظ على سلامتها وكرامتها في حاجة إلى سماع صوت المسيح الذي يعلن في الوقت الحاضر حبّ الآخر، بما في ذلك العدو، حتّى بذل الحياة، ويصلّي في يومنا هذا من أجل اتحاد البشر أجمعين وشركتهم في الله (راجع إنجيل يوحنا ١٧، ٢٠ و٢١).

١١ رقم ٧٩؛ أإعمال الكرسي الرسولي ٨٨ (١٩٩٦)، ٥١.

١٢ بينيدكت السادس عشر، «المحبة في الحق»، رسالة عامّة (٢٩ يونيو ٢٠٠٩)، ١؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٦٤١.

١٣ بينيدكت السادس عشر، «عظة قداس افتتاح الاجتماع الخاص بأفريقيا في سينودس الأساقفة» (٤ أكتوبر ٢٠٠٩)؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٩٠٧.

الجزء الأول

«ها إنّي أجعل كلّ شيءٍ جديدا»

(رؤيا ٢١، ٥)

١٤ـ لقد سمح السينودس بطرح أُطُر أساسية للرسالة في أفريقيا، المتطلّعة إلى المصالحة والعدالة والسلام. من اختصاص الكنائس الخاصة ترجمة هذه الأُطُر إلى «مقاصد حماسية وخطط تنفيذية عملية»[١٤]. وفي الواقع «فالكنائس المحلّية هي التي بوسعها إقرار تلك الخطَط والبرامج ـ أي الأهداف ومناهج العمل، وتكوين العاملين وتقييمهم، والبحث عن الوسائل اللازمة ـ التي تتيح للإعلان المسيحي من الوصول إلى الأشخاص، وتشكيل الجماعات والعمل في العمق، بواسطة الشهادة للقيَم الإنجيلية في المجتمع والثقافة»[١٥] الأفريقية.

١٤ يوحنا بولس الثاني، كتاب رسولي «في مطلع الألفية الجديدة» (٦ يناير ٢٠٠١)، ٣؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٣ (٢٠٠١)، ٢٦٧.

١٥ نفس المرجع ٢٩؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٣ (٢٠٠١)، ٢٨٦.

الفصل الأوّل
في خدمة المصالحة والعدالة والسلام

أوّلا: خدّام فعليّون لكلمة الله

١٥ـ قارّة أفريقية في تقدّم وفرح وحيوية، تُبرز مجد الله، كما ذكر القديس إيرناوس: «مجد الله هو الإنسان الحي». لكنه يضيف على الفور: «حياة الانسان هي مشاهدة وجه الله»[١٦]. ولذلك فما زال واجب الكنيسة الجوهري حتى في أيامنا هذه، نقل رسالة الإنجيل إلى قلب المجتمع الأفريقي، المضيّ بها نحو مشاهدة الله. وكما يُكسب الملح المأكولات طعما، هكذا تجعل هذه الرسالة الأشخاص الذين يعيشونها شهودا حقيقيين لها. والذين يحظَون بهذا النمو، يصبحون قادرين على التصالح في يسوع المسيح. يصبحون نورا لإخوتهم. ولذلك فإني أدعو مع آباء السينودس «كنيسة أفريقيا أن تصبح شاهدة في خدمة المصالحة والعدالة والسلام، »كملح الأرض ونور العالم»[١٧]. لكي تجيب بسلوكها على هذا النداء: «قومي، يا كنيسة أفريقيا، يا أسرة الله، لأن الآب السماوي يناديكِ»[١٨].

١٦ـ من الملفت للنظر أن الله سمح أن يُعقد السينودس الثاني لأفريقيا فور السينودس المكرّس لكلمة الله في حياة الكنيسة ورسالتها. فهذا السينودس الأخير كان قد ذكّر بضرورة أن يفهم التلميذ المسيح المنادي عبر الكلمة. بواسطتها يتعلّم المؤمنون الإصغاء إلى المسيح ويتيحون للروح القدس أن يرشدهم ويكشف لهم معنى كلّ شيء (راجع إنجيل يوحنا ١٦، ١٣). ذلك إن «قراءة كلمة الله وتأمّلها تمتدّ بجذورنا إلى الأعماق

١٦ «ضد الهراطقة» ٤، ٢٠، ٤؛ مجموعة الآباء اليونانيين ٧، ١٠٣٧

١٧ الاقتراح الأوّل، ٣٤.

١٨ بينيدكت السادس عشر، «عظة قداس الختام للاجتماع الثاني الخاص بأفريقيا في سينودس الأساقفة» (٢٥ أكتوبر ٢٠٠٩. أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٩١٨

في المسيح وتهدي نشاطنا كخدّام للمصالحة والعدالة والسلام»[19]. وقد ذكر السينودس نفسه المشار إليه أنه «لنصبح إخوته وأخواته علينا أن نصغي "إلى الذين يصغون إلى كلمة الله ويعملون بها"»(لوقا ٨، ٢١). الإصغاء الحقيقي طاعة وعمل؛ هو انبثاق العدالة والحب في الحياة. هو تقديم الشهادة للوجود وللمجتمع. شهادة تنسجم مع الأنبياء في منهجهم ودعوتهم التي ما زالت تجمع بين كلمة الله والسلوك، بين الإيمان والاستقامة، بين التعبّد والالتزام الاجتماعي»[20]. الإصغاء إلى كلمة الله وتأمّلها يعني الرغبة في أن تتغلغل في حياتنا وتشكّلها لمصالحتنا مع الله، لنتيح لله أن يقودنا نحو مصالحة مع القريب، الطريق المحتوم لبناء مجتمع من الأشخاص والشعوب. عسى أن تتجسّم كلمة الله على وجوهنا وفي سلوكياتنا!

ثانيا: المسيح في قلب الواقع الأفريقي

ينبوع مصالحة وعدالة وسلام

١٧ـ المفاهيم الثلاثة الأهم، المعالجَة في المجمع، أعني المصالحة والعدالة والسلام، وضعت هذا المجمع في مواجهة مع «مسؤوليته اللاهوتية والاجتماعية»[21] ، وأتاحت الفرصة أيضا للتساؤل حول دور الكنيسة العام ومكانتها في المجال الإفريقي المعاصر .[22] «بوسعنا أن نقول أن المصالحة والعدالة هما الشرطان الجوهريان اللذان لا بدّ منهما للسلام ، ولذلك فإنهما يحدّدان نوعا ما طبيعته»[23]. والمهمة التي علينا توضيحها ليست سهلة، لأنها حدّ فاصل بين التزامات السياسة المباشرة ـ وهذه

١٩ الاقتراح ٤٦.

٢٠ الاجتماع العام المألوف لسينودس الأساقفة، الدعوة الختامية (٢٤ أكتوبر ٢٠٠٨)، ١٠.

٢١ بينيدكت السادس عشر، «خُطبة للدائرة الرومانية» (٢١ ديسمبر ٢٠٠٩) أعمال الكرسي الرسولي ١٠٢ (٢٠١٠) ٣٥.

٢٢ بينيدكت السادس عشر، «المحبة في الحق»، رسالة عامة (٢٩ يونيو ٢٠٠٩)، رقم ٤١؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٣٥.

٢٣ بينيدكت السادس عشر، «خُطبة للدائرة الرومانية» (٢١ ديسمبر ٢٠٠٩) أعمال الكرسي الرسولي ١٠٢ (٢٠١٠) ٣٥.

خارجة عن اختصاصات الكنيسة المباشرة ـ وبين الانطواء أو التنصّل المتاح بنظريات لاهوتية وروحية قد تنتهي بنوع من التهرّب من المسؤوليات الفعلية في تاريخ البشر.

١٨ـ «السلام استودعكم، سلامي أعطيكم» يقول الرب، ويضيف: «لست كما يعطي العالم أعطيكم انا» (يوحنا ١٤، ٢٧). فالسلام البشري بدون العدالة وهمي وعابر. السلام البشري الذي لا ينبع عن المصالحة عبر الصِدق في المحبّة (راجع أفسس ٤، ١٥) يلبث مبتورا وليس سلاما حقيقيا. إنّما الحقيقة ـ «كلّ الحقيقة»، الشيء الوحيد الذي يمكن أن يهدينا إليه الروح ـ هي التي ترسم لنا الطريق الذي على كل عدالة بشرية أن تسلكه للوصول إلى إعادة بناء روابط الأخوّة في «الأسرة البشرية، جماعة السلام»[٢٤]، المتصالحة مع الله بواسطة المسيح. العدالة ليست وهمية. إنها بالضرورة جزء لا يتجزّأ من الالتزام البشري. محبّة لا تحترم العدالة وحقوق الجميع، ضلال. لذلك أشجّع جميع المسيحيين كي يصبحوا مثاليين في ما يتعلّق بالعدالة والمحبة (راجع متى ٥، ١٩ـ٢٠).

أ) «تصالحوا مع الله» (٢ كو ٥، ٢٠ب)

١٩ـ «المصالحة مفهوم يستبق السياسة وحقيقة تستبق السياسة، ولهذا السبب لها أهمّية كبرى بالنسبة إلى المهامّ السياسية نفسها. إذا لم نخلق في القلوب القدرة على المصالحة، يفتقر الالتزام السياسي إلى شرط أساسي للسلام. لقد تعهّد رعاة الكنيسة في السينودس بالسعي نحو تطهير الإنسان من الباطن، الأمر الذي يشكّل الشرط الجوهري والأوّلي لبناء العدالة والسلام. لكن هذا التطهير وهذا النضوج الباطني في سبيل إنسانية حقيقية لا يُتاح لهما الوجود بدون الله»[٢٥].

٢٤ بينيدكت السادس عشر، «رسالة لليوم العالمي للسلام ٢٠٠٨»، أعمال الكرسي الرسولي ١٠٠ (٢٠٠٨)، ٣٨ـ٤٥.

٢٥ بينيدكت السادس عشر، »خُطبة للدائرة الرومانية« (٢١ ديسمبر ٢٠٠٩) أعمال الكرسي الرسولي ١٠٢ (٢٠١٠) ٣٧.

٢٠ـ إنما النعمة الإلهية هي التي تعطينا، في الواقع، قلبا جديدا وتصالحنا معه ومع الآخرين[٢٦]. فالمسيح هو الذي عاد وأقرّ الإنسانية في محبّة الآب. فالمصالحة تجد إذن مصدرها في هذه المحبّة؛ تولد بمبادرة من الآب لتجديد العلاقة مع الإنسانية، علاقة انقطعت بخطيئة الإنسان. في يسوع المسيح، «في حياته وخدمته، وبنوع خاص في موته وقيامته، شهد الرسول بولس الله الآب يصالح العالم (كل شيء في السماوات وعلى الأرض) مع ذاته، ماحيا خطايا الإنسانية (راجع ٢ كورنتس ٥، ١٩؛ روميه ٥، ١٠؛ كولوسي ١، ٢١ـ٢٢). شاهد بولس الله الآب يصالح اليهود والأمم مع ذاته في جسد واحد، بواسطة الصليب (راجع أفسس ٢، ١٥؛ ٣، ٦). فخبرة المصالحة توطّد بذلك الشركة على صعيدَين: الشركة بين الله والإنسانية والشركة بين البشر، لأن خبرة المصالحة تجعلنا (نحن الإنسانية المتصالحة) تجعلنا أيضا سفراء للمصالحة[٢٧]. «فالمصالحة إذن لا تقتصر على التدبير الإلهي الذي يجذب إليه بالمسيح إنسانية مغتربة وخاطئة، عن طريق غفران الخطايا والمحبّة. بل تؤدّي أيضا إلى استئناف العلاقات بين الأشخاص عن طريق تنسيق الفوارق وتذليل العوائق، بواسطة خبرة محبّة الله»[٢٨]. مثل الابن الضال يوضّح ذلك إذ يطرح علينا الإنجيل في عودة الابن الأصغر، أي في توبته، الحاجة إلى لمصالحة مع الآب من ناحية، ومع الأخ الأكبر من ناحية أخرى، بوساطة الأب (راجع لوقا ١٥، ١١ـ٣٢). لقد أظهرت شهادات مؤثّرة لمؤمنين أفريقيين، عن آلام ومصالحة فعلية في التاريخ المأسوي المعاصر للقارّة الأفريقية[٢٩]، أظهرت قدرة الروح الذي يحوّل قلوب الضحايا وجلاديها لاستعادة الأخوّة[٣٠].

٢١ـ في الواقع، لا يخلق في المجتمع سلاما دائما إلا مصالحة حقيقية. أبطالها هم بالتأكيد السلطات الحاكمة والرؤساء التقليديون، بل

---

٢٦ راجع الاقتراح ٥.

٢٧ تقرير ما قبل المناقشة، ٢، ١.

٢٨ نفس المرجع.

٢٩ بينيدكت السادس عشر، «خُطبة للدائرة الرومانية» (٢١ ديسمبر ٢٠٠٩) أعمال الكرسي الرسولي ١٠٢ (٢٠١٠) ٣٥.

٣٠ بينيدكت السادس عشر، »عظة قداس الختام في الاجتماع الثاني الخاص بأفريقيا في سينودس الأساقفة« (٢٥ أكتوبر ٢٠٠٩. أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٩١٦

والمواطنون البسطاء أيضا. بعد الصراع كثيرا ما تستعيد المصالحة، بالتمهيد لها وإتمامها في الصمت والهدوء، تستعيد وحدة القلوب والتعايش السلمي. تستأنف الدول بفضلها السلام، بعد فترات حرب طويلة، ومجتمعات مزّقتها الحروب الأهلية والإبادة البشرية، تعود إلى بناء وحدتها. إنّما بتقديم الغفران[٣١] وبقبوله استطاع الأفراد والجماعات الشفاء من ذكر ياتهم الأليمة، والعائلات المنقسمة عادت ووجدت الوفاق. لقد أراد آباء السينودس أن يؤكّدوا أن «المصالحة تتغلّب على الأزمات وتستعيد كرامة الأشخاص وتفسح المجال للنمو وللسلام الدائمَين بين الشعوب على جميع الأصعدة»[٣٢]. ولا بدّ لهذه المصالحة، لكي تصبح فعّالة، أن يصحبها فعل شجاع وصادق: أي البحث عن المسؤولين عن تلك الصراعات والذين موّلوا الجرائم. وشغلهم الشاغل المضاربات بأنواعها، وتحديد مسؤوليتهم. فمن حق الضحايا الحقيقة والعدالة. ولا يخلو من أهمّية في الوقت الراهن وبالنسبة إلى المستقبل تطهير الذاكرة، لبناء مجتمع أفضل لا تتكرّر فيه مثل هذه المآسي.

ب) نصبح عادلين لبناء نظام اجتماعي عادل

٢٢ـ بناء نظام اجتماعي عادل هو بلا شكّ من اختصاص الهيئات السياسية[٣٣]. ومع ذلك فإن من واجبات الكنيسة في أفريقيا تكوين ضمائر مستقيمة ومنفتحة على مقتضيات العدالة، في سبيل خلق رجال ونساء غيورين وقادرين على تحقيق هذا النظام الاجتماعي العادل بسلوكهم المسؤول. والمثال الأعلى الذي انطلاقا منه تفكّر الكنيسة وتعقل، وتقدّمه للجميع، هو المسيح[٣٤]. «فالكنيسة، ليس لديها» في تعليمها الاجتماعي «ما تقدّمه من حلول تقنية، ولا تدّعي "بأي شكل كان أن تتدخّل في سياسة الدول". لكنها تحمل رسالة حقيقة من واجبها

٣١ بينيدكت السادس عشر، «رسالة يوم السلام العالمي ١٩٩٧»، ١؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨٩ (١٩٩٧)، ١.

٣٢ الاقتراح ٥.

٣٣ راجع بينيدكت السادس عشر، «الله محبة»، رسالة عامّة (٢٥ ديسمبر ٢٠٠٥)، ٢٨؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٨ (٢٠٠٦)، ٢٣٨ـ٢٤٠

٣٤ راجع الاقتراح ١٤.

إنجازها... رسالة لا يمكن التخلي عنها. وتعليمها الاجتماعي يشكّل لحظة خاصة من هذه البشرى: إنها في خدمة الحقيقة التي تحرّر[٣٥]».

٢٣ـ بفضل لجان السلام والعدالة، تعهّدت الكنيسة بتكوين المواطنين المدني ومتابعة العمليات الانتخابية في عدة دوَل. إنها تساهم بذلك في تربية الشعوب وتوعيتهم ومسؤولياتهم المدنية. هذا الدور التربوي الخاص نال إعجاب عدد كبير من الدوَل التي تنظر إلى الكنيسة كصانعة للسلام وأداة للمصالحة ورائدة في العدالة. وجدير بنا أن نكرّر القول بأن رسالة الكنيسة، مع التمييز الواجب بين دَور الرعاة ودَور المؤمنين العلمانيين، ليست رسالة سياسية[٣٦]. مهمّتها هي تربية العالم على الحسّ الديني، بالتبشير بالمسيح. الكنيسة تريد أن تكون المرشد والمحامية لسموّ شخص الإنسان. كما وعليها أن تربّي الإنسان على البحث عن الحقيقة القصوى بالنسبة إلى ما يمثّله هو ذاته، وإلى تساؤلاته، للعثور على حلول لمشاكله[٣٧].

١ ـ الحياة بعدالة المسيح

٢٤ـ على الصعيد الاجتماعي، الضمير الإنساني في مواجهة مع انتهاكات جسيمة للعدالة في عالم اليوم، على وجه عام، وفي داخل أفريقيا بنوع خاص. فمصادرة أموال الأرض من قبَل أقلّية على حساب شعوب كاملة، مرفوضة ولاأخلاقية. ومن مقتضيات العدالة «إعطاء كل صاحب حقّ حقّه»[٣٨]. فالأمر إذن متعلّق بإعطاء الشعوب حقّها. فأفريقيا قادرة

٣٥ بينيدكت السادس عشر، »المحبة في الحق«، رسالة دورية (٢٩ يونيو ٢٠٠٩)، ٩؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٦٤٦ـ٦٤٧..

٣٦ بينيدكت السادس عشر، »الله محبّة«، رسالة عامة (٢٥ ديسمبر ٢٠٠٥)، ٢٨ـ٢٩؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٨ (٢٠٠٦)، ٢٣٨ـ٢٤٠؛ اللجنة اللاهوتية الدولية، »بعض المسائل في لاهوت الفداء« (٢٩ نوفمبر ١٩٩٤)، ١٤ـ٢٠؛ الدليل الفاتيكاني ١٤، الأرقام ١٨٤٤ـ١٨٥٠.

٣٧ راجع المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، »الفرح والرجاء«، دستور رعوي عن الكنيسة في العالم المعاصر، ٤٠؛ واللجنة الحبرية للعدالة والسلام، »خلاصة تعليم الكنيسة الاجتماعي«، ٤٩ـ٥١.

٣٨ أنظر القديس توما الأكويني، »الخلاصة اللاهوتية«، الجزء الثاني من الثاني، المسألة ٥٨، الرد الأول.

على تأمين الشروط الأساسية المؤهِّلة للنمو لجميع أفراد القارّة ودوَلها[٣٩]. سيتمكّن الأفارقة بذلك من تسخير ما أنعم الله به عليهم من مواهب وثروات في خدمة أرضهم وإخوتهم. فالعدالة، إذا ما طُبّقت بسائر أبعادها على الظروف المعيشية، على الصعيد الفردي والجماعي، الاقتصادي والاجتماعي، تحتاج إلى المساندة بالتناوب والتضامن، وبالأكثر إلى إحيائها بالمحبّة. «فبموجب مبدأ التناوب، لا يجوز لأي دولة أو مجتمع أكبر أن يشكّل البديل عن مبادرات الأشخاص والأجهزة المتوسّطة ومسؤولياتها»[٤٠]. والتضامن كفيل بالعدالة والسلام، إذن بالوحدة، بحيث «وفرة الواحد تعوّض من نقص الآخر»[٤١]. والمحبة كفيلة بالصلة بالله، وتتجاوز العدالة في التوزيع. لأنه «إذا كانت العدالة فضيلة التوزيع لكلٍ حقّه... لا ينبغي للعدالة البشرية أن تحجب الإنسان عن الإله الحقيقي[٤٢]».

٢٥ـ الله نفسه يرينا العدالة الحقيقية عندما نرى ـ على سبيل المثال ـ يسوع يدخل في حياة زكا ويقدّم للخاطئ نعمة حضوره (أنظر لوقا ١٩، ١ـ١٠). فما هي إذن عدالة المسيح هذه؟ الذين شاهدوا ذلك اللقاء مع زكا يراقبون يسوع (انظر لوقا ١٩، ٧)؛ يتذمّرون ويستنكرون باسم حرصهم على العدالة. لكنهم يجهلون عدالة المحبّة التي تنفتح إلى أقصى حدّ، إلى حدّ تمرير «اللعنة» الواجبة على البشر إلى ذاتها، لينالوا مقابلَها «البركة»، التي هي هبة من الله (أنظر غلاطيه ٣، ١٣ـ١٤). فالعدالة الإلهية تقدّم للعدالة البشرية المحدودة والناقصة، الأفق الذي عليها أن تسعى نحوه لتحقّق ذاتها بالتمام والكمال. كما وتجعلنا هذه العدالة نَعِي ضعفنا واحتياجنا إلى مغفرة الله وصداقته. وهذا ما نعيشه في سرّي المصالحة والإفخارستيا المنبثقَين عن عمل المسيح. هذا العمل يمهّد لنا السبيل إلى عدالة ننال بها أكثر بكثير مما من حقّنا توقّعه، لأن المحبة في المسيح كمال الشريعة (راجع روميه ١٣،

٣٩ يوحنا بولس الثاني، رسالة دورية »السنة الماءة« (١ مايو ١٩٩١)، ٣٥؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨٣ (١٩٩١)، ٨٣٧.

٤٠ «التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية» ١٨٩٤.

٤١ الخطّة، ٤٤.

٤٢ القديس أغسطينس، »مدينة الله«، ١٩، ٢١، ١. مجموعة الآباء اللاتين ٤١، ٦٤٩.

٨ـ١٠)[٤٣]. فالإنسان العادل مدعوّ، بواسطة المسيح ، النموذج الوحيد، إلى الاندماج في نظام المحبّةـأغابي.

٢ـ خلق نظام عادل بمنطق التطويبات

٢٦ـ على تلميذ المسيح، باتحاده مع معلّمه، أن يساهم في تكوين مجتمع عادل، يُتاح فيه للجميع أن يشاركوا جادّين بمواهبهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية. لهم إذن أن يكسبوا ما هو ضروري، ليعيشوا وفق كرامتهم الإنسانية في مجتمع تنتعش فيه العدالة بالمحبة[٤٤]. لا يطلب المسيح ثورة على الصعيد الاجتماعي أو السياسي، بل ثورة المحبة، ثورة تتحقّق بهبة تامّة لشخصه، بموته على الصليب وقيامته. ثورة المحبة هذه هي أساس التطويبات (أنظر متى ٥، ٣ـ١٠)، التي تُفسح أفقا جديدا أمام العدالة، دُشّن بالسرّ الفصحي وبفضله بوسعنا أن نصبح عادلين ونبني عالما أفضل. إن عدالة الله التي أوحتها لنا التطويبات، ترفع المتواضعين وتضع المرتفعين. إنها ـ في الحقيقة ـ تبلغ كمالها في ملكوت الله الذي سيتحقّق في نهاية الزمن. لكن عدالة الله تظهر منذ الآن حيث المساكين يُعزَّون ويُقبلون في وليمة الحياة.

٢٧ـ بموجب منطق التطويبات يتمتّع الفقير والجائع والمريض ـ بنقص المناعة والسل والملاريا على سبيل المثال ـ والغريب والمذَلّل والسجين والمغترب المحتقر، واللاجئ والمشرّد ـ يتمتّعون بالأفضلية في الرعاية (راجع متى ٢٥، ٣١ـ٤٦). والاستجابة إلى احتياجاتهم في العدالة والمحبة متعلّقة بالجميع. تنتظر أفريقيا هذه الالتفاتة من قبَل الأسرة البشرية برمّتها ومن قبَل ذاتها[٤٥]. على أنه من واجبها أن تبادر من داخلها، وتعتمد، وعلى نحو جادّ، العدالة السياسية والاجتماعية والإدارية، أي تلك العناصر من الثقافة السياسية التي لا بدّ منها للنمو والسلام. والكنيسة، من

٤٣ انظر بينيدكت السادس عشر، «رسالة الصوم الأربعيني لسنة ٢٠١٠» (٣٠ أكتوبر ٢٠٠٩)؛ «تهعاليم» ٢/٥ (٢٠٠٩)، ٤٥٤.

٤٤ نفس المرجع. s

٤٥ راجع الاقتراح ١٧.

ناحيتها، ستقدّم المساهمة الخاصّة بها، على هُدى تعاليم التطويبات.

ج) المحبّة في الحق: ينبوع سلام

٢٨ـ المنظور الاجتماعي الذي يطرحه المسيح، والقائم على المحبة، يتجاوز الحد الأدنى الذى تقتضيه العدالة البشرية: أي أن نعطي الآخر ما يستحقّ. منطق المحبة الباطني يفوق هذه العدالة ويبلغ منه بنا أن نُعطي ما نملك[٤٦]: «لا نحبّ بالقول ولا باللسان، بل بالعمل والحق» (١يوحنا ٣، ١٨). وتلميذ المسيح ، على غرار معلّمه، يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، إلى حدّ بذل النفس من أجل الإخوة (راجع الأولى ليوحنا، ٣، ١٦). إنه ثمن السلام الحقيقي لله (راجع أفسس ٢، ١٤).

١ـ خدمة أخوية عملية

أيّ مجتمع، مهما كان ناميا، ليس بوسعه أن يستغني عن الخدمة الأخوية التي تنعشها المحبة. «من أراد أن يتخلّص من المحبة، يتهيّأ للتخلّص من الإنسان كإنسان. إذ لن يخلو الأمر أبدا من آلام تقتضي التعزية والمساعدة. لن يخلو الأمر قط من الوحدة، من أوضاع يُحتاج فيها إلى أمور مادّية، لا بدّ فيها من مساعدة مبنية على محبة عملية للقريب»[٤٧]. فالمحبة هي التي تشفي القلوب الجريحة، الوحيدة، المتروكة. المحبة هي التي تولّد السلام وتستعيده في قلب الإنسان وتعمّمه على الإنسانية.

٢ـ الكنيسة بمثابة الحارس

٣٠ـ في وضع أفريقيا الراهن، الكنيسة مدعوّة إلى إسماع صوت المسيح. إنها تريد أن تعمل بوصيّة يسوع إلى نيقوديموس، الذي تساءل عن إمكانية الولادة من جديد: «عليكم أن تولدوا من علو» (يوحنا ٣، ٧). لقد اقترح المرسلون على الأفارقة هذه الولادة الجديدة، «من الماء والروح» (يو ٣، ٥)، خبر سارّ من حقّ كلّ إنسان أن يسمعه ليستطيع أن يحقّق بالتمام

٤٦ بينيدكت السادس عشر، »المحبة في الحق«، رسالة عامة (٢٩ يونيو ٢٠٠٩)، رقم ٦؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٦٤٤.

٤٧ بينيدكت السادس عشر، »الله محبّة«، رسالة عامّة (٢٥ ديسمبر ٢٠٠٥)، ٢٨؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٨ (٢٠٠٦)، ٢٤٠

والكمال دعوته[٤٨]. والكنيسة تعيش في أفرويقيا هذا التراث. بسبب المسيح ووفاءً لدروسه في الحياة، تشعر أنها مدفوعة إلى إثبات وجودها حيث الإنسانية تعاني من الألم، وأن تستجيب لصراخ الأبرياء المضطهدين الدفين، أو صراخ الشعوب التي تصادر دولُهم حاضرهم ومستقبلهم باسم مصالح شخصية[٤٩]. فالكنيسة بما لها من قدرة على اكتشاف وجه المسيح في وجه الطفل أو المريض أو المتألّم أو المحتاج، تساهم في تشكيل بطيء لكن متماسك، لأفريقيا الجديدة. فالكنيسة، بحكم دورهاالنبوي، كلّما صرخت الشعوب نحوها «يا حارس، ماذا من الليل؟» (أشعيا ٢١، ١١) تريد أن تكون على أهبة الاستعداد للاحتجاج للرجاء الذي فيها (١ بطرس ٣، ١٥)، لأن فجرا جديدا مشرق في الأفق (راجع رؤيا ٢٢، ٥). لا يخدم قضية إنجيل الحق إلا رفض تجريد الإنسان من إنسانيته ورفض الحلول الوسَط، خوفا من المواجهة أو الاستشهاد. «إنّكم في العالم ـ يقول المسيح ـ ستكونون في ضيق، لكن ثقوا، فإني قد غلبت العالم» (يوحنا ١٦، ٣٣). فالسلام الحقيقي من المسيح (راجع يوحنا ١٤، ٢٧). لا يمكن إذن أن نقارنه بسلام العالم. ليس ثمرة مفاوضات واتفاقيات دبلوماسية، قائمة على المصالح. إنه سلام الإنسانية المتصالحة مع نفسها ومع الله، والكنيسة هي سرّه المقدس[٥٠].

٤٨ راجع بولس السادس، »البشرى الإنجيلية«، إرشاد رسولي (٨ ديسمبر ١٩٧٥)، ٥٣. ٨٠؛ أعمال الكرسي الرسولي ٦٨ (١٩٧٦)، ٤١ـ٤٢. ٧٣ـ٧٤؛ يوحنا بولس الثاني، »رسالة الفادي«، رسالة عامّة (٧ ديسمبر ١٩٩٠)، ٤٦؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨٣ (١٩٩١)، ٢٩٣.

٤٩ راجع «رسالة الختام» ٣٦.

٥٠ راجع المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، دستور عقائدي عن الكنيسة «نور الأمم» ، ١.

الفصل الثاني
ينبوع المصالحة: العدالة والسلام

٣١ـ أودّ الآن أن أشير إلى بعض «المناهج» التي حدّدها آباء السينودس لرسالة الكنيسة في الوقت الراهن، واهتمامها بمساعدة أفريقيا في التحرّر من القوى التي تشلّها. أَلَم يقل المسيح للمشلول أوّلا: «يا رجل، مغفورة لك خطاياك» ثم «قم» (لوقا ٥، ٢٠ـ٢٤)؟

أوّلا: الحرص على الإنسان

أ) ـ توبة حقيقية

٣٢ـ أهمّ ما شغل آباء السينودس بالنسبة إلى أوضاع القارّة الأفريقية كان البحث عن كيفيّة تحريك قلوب الأفارقة تلاميذ المسيح، وحملهم على التزام فعلي في عيش الإنجيل في سلوكياتهم ومجتمعاتهم. فالمسيح يدعونا بلا انقطاع إلى التوبة[٥١]. من ميزات الإنسان المسيحي حمله روحَ عصره وبيئته وعاداتهما. لكنّه بحكم نعمة المعمودية، مدعو إلى التخلّي عن النزعات الضارّة السائدة وإلى السير ضد التيّار. ومثل هذه الشهادة يتطلّب التزاما جادّا عن طريق «توبة دائمة نحو الآب، ينبوع الحياة الجديدة، القادر الوحيد على تحريرنا من الشر ومن سائر التجارب، وعلى الحفاظ على روحه فينا حتّى في صراعنا ضد قوى الشر»[٥٢]. هذه التوبة غير متاحة ما لم تؤسَّس على إيمان وطيد تدعمه تربية مسيحية جادّة. ينبغي على كلّ حال «الحفاظ على اتصال حيّ بين التعليم الملقّن بالحِفظ

٥١ أنظر مجمع عقيدة الإيمان، «ملحوظات عقائدية على بعض وجوه البشرى الإنجيلية» (٣ ديسمبر ٢٠٠٧)، ٩؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠٠ (٢٠٠٨) ، ٤٩٧ ـ ٤٩٨.

٥٢ «الخطّة» ٤٨.

والتربية الدينية المُعاشة، لإفساح المجال لتوبة حياتية عميقة ودائمة»[٥٣]. نعيش التوبة بنوع خاص في سرّ المصالحة، الذي يحتاج إلى غيرة خاصة لكي يصبح «مدرسة للقلب حقيقية». في هذه المدرسة يشكّل تلميذ المسيح شيئا فشيئا حياة مسيحية ناضجة، متنبّهة إلى أبعاد سلوكياته اللاهوتية والأخلاقية، فيصبح بذلك قادرا على «مواجهة صعوبات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية»[٥٤]، بسيرة مفعمَة بالروح الإنجيلية. لا يمكن أن تكون مساهمة المسيحيين في أفريقيا حاسمة إلا إذا بلغ فهم الإيمان فهم الواقع[٥٥]. لذلك لا بد من التربية على الإيمان ، وإلا فلا تعني كلمة مسيح إلا اسما تكميليا يُضاف على نظرياتنا. الكلمة والشهادة متلازمان ولا تنفصلان[٥٦]. على أن الشهادة وحدها لم تعد كافية، لأن «أجمل شهادة تبدو عاجزة مع مرور الزمن، إذا لم توضّحها وتبرّرها ـ ما سمّاه بطرس "الاحتجاج للرجاء (١ بط ٣، ١٥) ـ ويعبّر عنها إعلان واضح ولا لبْسَ فيه للرب يسوع»[٥٧].

ب) حياة حقيقية في سرّ التوبة والمصالحة

٣٣ـ لقد أبرز أيضا آباء السينودس أن عددا كبيرا من المسيحيين في أفريقيا يتخذون موقفا مشبوها بالنسبة إلى الاحتفال بسرّ المصالحة، وفي نفس الوقت هؤلاء المسيحيون أنفسهم يدقّقون جدّا في تطبيق الطقوس التقليدية للمصالحة. جدير بالأساقفة، لمساعدة المؤمنين الكاثوليك على أن يعيشوا مسيرة توبة حقيقية لدى احتفالهم بهذا السرّ ـ حيث العقلية بكاملها تعود وتُسلّط على اللقاء بالمسيح[٥٨] ـ جدير بهم أن يعملوا على إعداد دراسة جادّة للطقوس الأفريقية التقليدية المتعلّقة بالمصالحة، لتقييم نواحيها الإيجابية وحدودها. ذلك إن هذه الوسائل

٥٣ الاقتراح ٤٣.
٥٤ نفس المرجع.
٥٥ أنظر بينيدكت السادس عشر، «خطبة لمجلس العلمانيين الحبري» (٢١ مايو ٢٠١٠)؛ «تعاليم» ١/٦ (٢٠١٠)، ٧٥٨.
٥٦ انظر المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، «إلي الأمم»، مرسوم في نشاط الكنيسة الإرسالي، ١٥.
٥٧ راجع بولس السادس، «البشرى الإنجيلية»، إرشاد رسولي (٨ ديسمبر ١٩٧٥)، ٢٢؛ أعمال الكرسي الرسولي ٦٨ (١٩٧٦)، ٢٠/
٥٨ راجع الاقتراح ٩.

التربوية التقليدية[٥٩] . لا يمكن في حال من الأحوال أن تشكّل البديل للسر المقدس. لقد أشار بوضوح الطوباوي يوحنا بولس الثاني في إرشاده الرسولي المنبثق عن السينودس، «المصالحة والتوبة»، إلى من هو خادم سر التوبة والمصالحة وما هي صورته[٦٠]. لا يمكن للوسائل التربوية التقليدية إلا المساهمة في تقليص الصدمة التي اختبرها وعاشها بعض المؤمنين، بمساعدتهم على الانفتاح بالمزيد من العمق والحقيقة على المسيح، الوسيط العظيم الوحيد لنيل نعمة سرّ التوبة، قبول هذا السر بإيمان يكفي لمصالحتنا مع الله والقريب[٦١].

ج) روحانية الشركة

٣٤ـ ليست المصالحة عملا معزولا بل ذو نفَس طويل، بفضله يشهد كلّ منا نفسه مستقرّا في المحبة، محبّة شافية بواسطة كلمة الله. فالمصالحة تصبح بذلك سلوكا وفي نفس الوقت رسالة. ولتحقيق مصالحة حقيقية وتفعيل روحانية لشركة عن طريقها، تحتاج الكنيسة إلي شهود متأصّلين في المسيح، يتغذّون بكلمته وبالأسرار المقدّسة. فهؤلاء الشهود، بسعيهم هذا نحو القداسة، قادرون على الالتزام بعمل الشركة ضمن أسرة الله، ناقلين إلى العالم روح المصالحة والعدالة والسلام، إذا اقتضى الأمر حتى الاستشهاد، على مثال المسيح.

٣٥ـ في ودّي أن أذكر ما طرحه البابا يوحنا بولس الثاني للكنيسة بأسرها، كشروط لروحانية الشركة: القدرة على إدراك نور سرّ الثالوث على وجوه الإخوة الذين حولنا[٦٢]. بإبداء الحرص إذن على «الأخ في الإيمان وفي وحدة عميقة مع الجسد السرّي، "كشخص ينتمي إليّ"، للتمكّن من

٥٩ راجع الاقتراح ٨.

٦٠ أنظر الأرقام ٢٨ـ٣٤؛ أعمال الكرسي الرسولي ٧٧ (١٩٨٥)، ٢٥٠ـ٢٧٣. هذا التعليم تمّ تأكيده في الكتاب الرسولي بصيغة إرادة ذاتية »رحمة الله« (٢ مايو ٢٠٠٢)؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٤ (٢٠٠٢)، ٤٥٢ـ٤٥٩.

٦١ راجع الاقتراح ٧.

٦٢ أنظر الكتاب الرسولي »في مطلع الألفية الجديدة« (٦ يناير ٢٠٠١)، ٤٣؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٣ (٢٠٠١)، ٢٩٧

مشاركته في أفراحه وأتراحه، لاكتشاف رغباته والعناية باحتياجاته، وإحاطته بصداقة حميمة»[٦٣]. والقدرة أيضا على إدراك ما في الآخر من إيجابيات، لقبوله وتقديره كهبة من الله، ينعم عليّ بها الله عن طريق الذي قبله، مع تخطّي وتجاوز شخصه، الذي يصبح عندئذ أمينا على النعم الإلهية؛ وأخيرا "الحكمة في إفساح المجال": «للأخ، بحمل "الواحد أثقال الآخر" (غل ٦، ٢)، مع رفض إغراء الأنانية التي ما زالت تترصّد لنا وتؤدّي إلى المنافسة والوصولية وعدم الثقة والغيرة»[٦٤].

وهكذا ينضج رجال ونساء الإيمان والشركة، ممّن يتحلّون بالشجاعة في الحقّ والتفاني، مستنيرين بالفرح. إنهم يشهدون بذلك، على غرار الأنبياء، لحياة ملتزمة بالإيمان. ومريم أم الكنيسة، التي عرفت كيف تقبل كلمة الله، مثالهم الأعلى؛ فإنها عن طريق الإصغاء إلى الكلمة، استطاعت أن تفهم احتياجات البشر وتتشفّع لهم مشفقة عليهم[٦٥].

د) الانثقاف بالإنجيل وتغيير الثقافة بالإنجيل

٣٦ـ تحقيقا لهذه الشركة، جدير بنا أن نشير إلى ضرورة مرّ ذكرها في الجلسة الأولى للسينودس من أجل أفريقيا: ألا وهي دراسة جادّة لتقاليد الثقافات الأفريقية. لقد اتّضح لآباء السينودس وجود انفصام بين ممارسات تقليدية معيّنة للثقافات الأفريقية، والمقتضيات الخاصّة برسالة المسيح. والحرص على الانتماء والمصداقية يفرض على الكنيسة تمييزا عميقا، لتحديد النواحي الثقافية التي تعوق تجسّد القيَم الإنجيلية، وكذلك تلك التي تعزّزها[٦٦].

٣٧ـ ومع ذلك لا ينبغي أن ننسى أن الروح القدس هو البطل الحقيقي للانثقاف، «هو الذي يشرف إشرافا مبدعا على الحوار بين كلمة الله الموحى بها في المسيح، والتطلّعات العميقة النابعة من تعدّدية البشر

٦٣ المرجع نفسه.
٦٤ المرجع نفسه.
٦٥ راجع الاقتراح ٩.
٦٦ راجع الاقتراح ٣٣.

وثقافاتهم. بذلك تمضي حادثة العنصرة قدما عبر التاريخ، معزَّزة باللغات والثقافات المختلفة»[١٧]. من شأن الروح القدس أن يُفعم سائر الثقافات بالإنجيل، من غير أن تستحوذ عليه أيّة واحدة منها[١٨]. على الأساقفة أن يدأبوا ساهرين على ضرورة الانثقاف هذه، مع احترام القواعد التي أقرّتها الكنيسة. التمييز بين ما هي العناصر الثقافية وما هي التقاليد المضادّة للإنجيل، سيمكّن من الفصل بين القمح الجيّد والزؤان (أنظر متى ١٣، ٢٦). فالمسيحية، مع الحفاظ التام على هويتها في أمانة مطلقة للبشرى الإنجيلية وللتقليد الكنسي، ستتبنّى بذلك وجوه ثقافاتٍ لا عدّ لها، وشعوبٍ اعتنقت هذه البشرى وتأصّلت فيها. والكنيسة تصبح إيقونة للمستقبل الذي يُعدّه لنا روح الله[١٩]، أيقونة ستضيف عليها أفريقيا ما لديها من مساهمة. وفي أثناء عمل الانثقاف هذا، لا ينبغي أن ننسى واجب زفّ البشرى الإنجيلية للعالم الثقافي الأفريقي المعاصر، فذلك أيضا أمر جوهري.

مبادرات الكنيسة لتقييم الثقافات الأفريقية والحفاظ عليها معروفة. ومتابعة هذا العمل أمر بالغ الأهمّية، لكون اختلاط الشعوب يشكّل ثراء، نعم، لكنّه كثيرا ما ينال من الثقافات والمجتمع. وهويّة المجتمع الأفريقي رهن هذا اللقاء بين الثقافات. ينبغي إذا العمل على نقل القيَم التي بثّها الخالق في قلوب الأفريقيين منذ القرون الغابرة. لقد شكّلت هذه القيَم الأرضية التي تشكّلت عليها المجتمعات التي تعيش في نوع من الوئام، لأنها تحمل في طيّاتها طرقا تقليدية في ضبط التعايش السلمي. فعلينا إذن تقييم هذه العناصر الإيجابية وتنويرها من الباطن (أنظر يو ٨، ١٢) لكي تصل الرسالة الإنجيلية فعلا إلى الإنسان المسيحي، فيتمكّن بذلك نور الله أن يضيء أمام أنظار البشر. عندئذ يرى الناس أعمال المسيحيين الصالحة، فيستطيع الرجال والنساء تمجيد «الآب الذي في السماوات» (متى ٥، ١٦).

٦٧ راجع مجمع عقيدة الإيمان، «ملحوظات عقائدية على بعض وجوه البشرى الإنجيلية» (٣ ديسمبر ٢٠٠٧)، ٦؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠٠ (٢٠٠٨)، ٤٩٤.

٦٨ راجع بولس السادس، «البشرى الإنجيلية»، إرشاد رسولي (٨ ديسمبر ١٩٧٥)، ١٩-٢٠؛ أعمال الكرسي الرسولي ٦٨ (١٩٧٦)، ١٨-١٩.

٦٩ يوحنا بولس الثاني، كتاب رسولي «في مطلع الألفية الجديدة» (٦ يناير ٢٠٠١)، ٤٠؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٣ (٢٠٠١)، ٢٩٥.

هـ) هبة المسيح: الإفخارستيا وكلمة الله

٣٩ـ بصرف النظر عن الخلافات العرقية أو الثقافية، هناك تحدٍّ عظيم ينتظرنا جميعا، ألا وهو أن نميّز في الشخص الإنساني الذي أحبّه الله أساس الشركة القادرة على احترام مساهمات الثقافات المختلفة وتبنّيها[٧٠]. «علينا فعلا أن نفتح هذه الحدود بين القبائل والإتنيات والأديان، على محبّة الله الشاملة»[٧١]. رجال ونساء من أصول ولغات وثقافات وأديان مختلفة، بوسعهم أن يعيشوا معا في وئام.

٤٠ـ وفي الواقع، قد نصب ابن الله خيمته ما بيننا؛ أراق دمه من أجلنا. وبموجب وعده أن يمكث معنا حتى منتهي الدهور (أنظر متى ٢٨، ٢٠)، يعطينا ذاته كلّ يوم كغذاء في الإفخارستيا وفي الكتب المقدّسة. لقد كتبتُ في الإرشاد الرسولي «كلمة الله» المنبثق عن السينودس، أن «الكلمة والإفخارستيا متلازمان إلى حدّ لا يمكن فهم إحداهما بدون الأخرى: فكلمة الله تصير جسدا سرّيا في الحدَث الإفخارستي. وتفسح لنا المجال لفهم الكتب المقدّسة، كما والكتب المقدّسة توضّح لنا بدورها سرّ الإفخارستيا»[٧٢].

٤١ـ فالكتاب المقدّس يشهد فعلا أن دم المسيح المراق يصير عبر المعمودية مصدر ورابطة أخوّة جديدة. والأخوّة ضد الانفصال والقبلية والعنصرية والتعصّب الإتني (أنظر غل ٣، ٢٦ـ٢٨). الإفخارستيا هي الطاقة التي تجمع أبناء الله المنتشرين وتحافظ على وحدتهم[٧٣]، لأنه يجري في عروقنا دم المسيح نفسه، فيجعلنا أبناء الله، وأعضاء أسرة الله»[٧٤]. وبعد قبول

٧٠ راجع الاقتراح ٣٢.

٧١ بينيدكت السادس عشر، «الجمعية الثانية الخاصة بأفريقيا في سينودس الأساقفة، تأمّل في أثناء الساعة الثالثة» (٥ أكتوبر ٢٠٠٩). أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٩٢٤.

٧٢ رقم ٥٥؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠٢ (٢٠١٠) ، ٧٣٤ـ٧٣٥.

٧٣ راجع الاقتراح ٤٥.

٧٤ بينيديكت السادس عشر، «خطبة لأعضاء المجلس الخاص بأفريقيا في سينودس الأساقفة» (ياوندي، ١٩ مارس ٢٠٠٩)؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٣١٣.

يسوع في الإفخارستيا والكتاب المقدّس، يُعاد إرسالنا إلى العالم لنقدّم له المسيح بوضع نفوسنا في خدمة الآخرين (راجع يو ١٣، ١٥؛ ١يو ٣، ١٦)[٧٥].

ثانيا: أن نعيش معا

ا) الأسرة

٤٢ـ الأسرة «مقدِس الحياة» والنواة الحيّة للمجتمع والكنيسة. إنّما فيها «يتشكّل وجه شعب، وفيها يحصّل أعضاؤها تعاليمهم الأساسية. يتعلّمون أن يحبّوا لأنهم يُحبّون بالمجّان، ويتعلّمون أن يحترموا كل شخص لأنهم يُحترمون، ويتعلّمون أن يتعرّفوا على وجه الله لأنهم ينالون منه الوحي الأوّل عن طريق أب وأمّ كلّهما حنان. وكلّما غابت هذه الخبرات الأساسية، المجتمع بجملته يُصاب بالعنف ويصبح بدوره مصدر ألوان من العنف»[٧٦].

٤٣ـ الأسرة هي بالتأكيد المكان المناسب لاستيعاب ثقافة الغفران والسلام والمصالحة وممارستها. «في حياة الأسرة السليمة نُختبر عناصر أساسية للسلام: العدالة والمحبة بين الإخوة والأخوات، ووظيفة السلطة التي يعبّر عنها الوالدان، والخدمة الدافئة للأعضاء الضعفاء لأنهم صغار أو مرضى أو مسنّون، والمساعدة المتبادلة على ضرورات الحياة، والاستعداد لقبول الآخر، والعفو عنه إذا اقتضى الأمر. لهذه الأسباب الأسرة هي المربّية الأولى بلا بديل للسلام»[٧٧]، بحكم الأهمّية البالغة لهذه المؤسّسة، وما يهدّدها من مخاطر ـ كتحريف مفهوم الزواج والأسرة أيضا، وابتذال الأمومة، وإباحة الإجهاض، وتسهيل الطلاق ونسبيّة «علم أخلاق» جديد ـ تحتاج الأسرة إلى حماية ودفاع[٧٨]، لتستطيع أن تقدّم للمجتمع الخدمة التي ينتظرها

٧٥ بينيدكت السادس عشر،، «سرّ المحبّة»، إرشاد رسولي منبثق عن السينودس (٢٢ فبراير ٢٠٠٧)، ٥١؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٩ (٢٠٠٧)، ١٤٤.

٧٦ راجع مجمع عقيدة الإيمان، «رسالة إلى أساقفة لكنيسة الكاثوليكية في شأن تعاون الرجل والمرأة في الكنيسة والعالم» (٣١ مايو ٢٠٠٤)، ١٣؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٦ (٢٠٠٤) ، ٦٨٢.

٧٧ بينيدكت السادس عشر، «رسالة يوم السلام العالمي ٢٠٠٨»، ٣؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠٠ (٢٠٠٨)، ٣٨ـ٣٩.

٧٨ راجع الاقتراح ٣٨.

منها، أي أن تقدّم له رجالا ونساء قادرين على توفير نسيج اجتماعي من السلام والوئام.

٤٤ـ لذلك فإنّي أشجّع بقوّة الأسَر على أن تلتمس الإلهام والقوّة من سرّ الإفخارستيا، لتعيش الجدّية الملفتة التي أضفاها المسيح على صميم الأوضاع المألوفة في الحياة، جدّية تجعل كلّ واحد شاهدا قادرا على نشر النور في نطاق عمله ومجتمعه بأسره. «الحب بين الرجل والمرأة وقبول الحياة، وواجب التربية، هذه هي البيئة المميّزة التي يمكن للإفخارستيا أن تُثبت فيها قدرتها على تغيير معنى الحياة والبلوغ بها إلى الكمال»[٧٩]. وهذا يعني بلا شك أن الاشتراك بالإفخارستيا يوم الأحد مطلب من مطالب الضمير المسيحي وفي نفس الوقت مكوّن له[٨٠].

٤٥ـ من ناحية أخرى، إتاحة المجال اللازم في الأسرة الشخصية والجماعية، يعني احترام مبدأ جوهري للرؤية المسيحية للحياة : أي أولية النعمة. فالصلاة تذكّرنا على الدوام بأوّلية المسيح وبأوّلية أخرى مرتبطة بها، ألا و هي أولية الحياة الروحية والقداسة. والحوار مع الله يفتح القلوب على تدفّق النعمة ويُفسح المجال لكلمة المسيح، لتعبر فينا بكلّ قوّتها. لذلك، لا بدّ في الأسرة من الإصغاء الدائم والقراءة الواعية للكتاب المقدس[٨١].

٤٦ـ أضف إلى ذلك أن «رسالة الأسرة المسيحية التربوية "خدمة حقيقية"، يُنقل بواسطتها الإنجيل ونوره، إلى حدّ أن حياة الأسرة نفسها تصبح مسيرة إيمان، بمثابة تربية مسيحية ومدرسة لاتّباع المسيح. وفي الأسرة المدركة لهذه الهبة، كما كتب بولس السادس، «جميع الأعضاء يبشِّرون ويُبشَّرون». وبموجب خدمة التربية، يصبح الأب والأم بواسطة الشهادة رائدَي الإنجيل بالنسبة للأبناء [...] ووالدين بمعنى الكلمة، أي لا يخلّفان

٧٩ راجع بينيدكت السادس عشر، «سر المحبّة»، إرشاد رسولي منبثق عن السينودس (٢٢ فبراير ٢٠٠٧)، ٧٩؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٩ (٢٠٠٧)، ١٦٥ـ١٦٦.

٨٠ المرجع نفسه، رقم ٧٣. يوحنا بولس الثاني، كتاب رسولي «في مطلع الألفية الجديدة» (٦ يناير ٢٠٠١)، ٣؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٣ (٢٠٠١)، ٢٦٧.

٨١ يوحنا بولس الثاني، كتاب رسولي «في مطلع الألفية الجديدة» (٦ يناير ٢٠٠١)، ٣٨ و٣٩؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٣ (٢٠٠١)، ٢٩٣ـ٢٩٤.

حياة الجسد فقط، بل والحياة التي بواسطة الروح تنبثق من صليب المسيح وقيامته»[٨٢].

ب) المسنّون

٤٧ـ يحظى المسنّون في أفريقيا بكرامة خاصّة. لا يُبعَدون عن الأسرة أو يُهمَّشون، كما هي الحال بالنسبة إلى ثقافات أخرى. إنّهم بالعكس يحظون بالتقدير وبالدمج الكامل في الأسرة، ويشكّلون ذروتها. عسى أن تستلهم المجتمعات الغربية من هذا الواقع الأفريقي الجميل، فتستقبل الشيخوخة بالمزيد من الكرامة. كثيرا ما يحدّثنا الكتاب المقدّس عن المسنّين. «ما أجمل الحكمة للشيوخ والرأي والمشورة لأرباب المجد» (سيراخ ٢٥، ٦). فالشيخوخة، رغم ما يبدو عليها من ضعف، هبة ينبغي أن نعيشها في أهبة هادئة، نحو الله والقريب. هي أيضا زمن الحكمة، لأن ما يعيشه الإنسان من عمر يعلّمه عظمة الحياة وزوالها. كرجل إيمان، هتف سمعان الشيخ بحماس وحكمة، لا ليودّع الحياة في الأسى، بل رافعا الشكر لمخلّص العالم (أنظر لوقا ٢، ٢٥ـ٣٢).

٤٨ـ إنّما بفضل هذه الحكمة، التي ربّما حازها الشيوخ بالثمن الغالي، بوسعهم أن يعملوا في الأسرة بعدة طرق. فخِبرتهم تساعدهم لا على التغلّب على الفارق السنّي فقط، بل وعلى تأكيد حتمية الترابط بين الأجيال. فالشيوخ كنز بالنسبة إلى جميع أعضاء الأسرة، لا سيما بالنسبة إلى المتزوّجين الجدد، والأطفال الذين يجدون فيهم التفاهم والحب. ولما لم يقتصر عطاؤهم على توريث الحياة، يساهمون بسلوكهم في توثيق الرابطة الأسَرية (راجع تيطس ٢، ٢ـ٥)، وفي إثراء جميع أعضاء الأسرة والجماعة روحيا، بالصلاة وحياة الإيمان.

---

٨٢ يوحنّا بولس الثاني، »حياة الأسرة«، إرشاد منبثق عن السينودس (٢٢ نوفمبر ١٩٨١)، ٣٩؛ أعمال الكرسي الرسولي ٧٤ (١٩٨٢)، ١٣٠ـ١٣١؛ راجع بولس السادس، إرشاد رسولي «البشرى الإنجيلية» (٨ ديسمبر ١٩٧٥)، ٧١؛ أعمال الكرسي الرسولي ٦٨ (١٩٧٦)، ٦٠ـ٦١.

٤٩ـ الاستقرار والنظام الاجتماعيان، ما زالا يُسندان في أفريقيا في أحيان كثيرة إلى مجلس من الشيوخ والرؤساء التقليديين. بوسع المسنّين أن يقدّموا بواسطة هذه الطرق مساهمة فعّالة لبناء مجتمع أعدل، ينمو لا بفضل خبرات ربما عشوائية، بل بتدرّج وباتزان حكيم. وبوسع المسنّين أن يشاركوا بذلك في مصالحة الأفراد والجماعات بحكمتهم وخبرتهم.

٥٠ـ تولي الكنيسة المسنّين جزيل التقدير. مع الطوباوي يوحنا بولس الثاني يحلو لي أن أكرّر عليكم: «الكنيسة محتاجة أليكم! لكن المجتمع المدني أيضا محتاج! [...] عسى أن تستغلّوا بكرَم الوقت المتاح لكم، وما أنعم الله به عليكم من مواهب [...] كرّسوا من أوقاتكم وطاقاتكم للصلاة [...]»[٨٣].

د) الرجال

٥١ـ للرجال في الأسرة رسالة خاصّة عليهم أداؤها، بحكم دورهم كأزواج وآباء يحملون مسؤولية نبيلة، ألا وهي أن يقدّموا للمجتمع، عن طريق علاقتهم الزوجية وتربية البنين، القيَم التي يحتاج إليها.

٥٢ـ إني أشجّع ـ مع آباء السينودس ـ الرجال الكاثوليك، أن يساهموا حقّا في أسَرهم، في تربية الأبناء إنسانيا ومسيحيا، على قبول الحياة وحمايتها منذ لحظة الحمْل[٨٤]. أدعوهم إلى مباشرة سلوك مسيحي في حياتهم، متأصّل ومبني على المحبّة (أنظر أفسس ٣، ١٧). وأكرّر عليهم مع القديس بولس: «أحبّوا نساءكم، كما أحب المسيح الكنيسة وبذل نفسه في سبيلها [...]؛ على الرجال أن يحبّوا نساءهم كأجسادهم: من أحب زوجته أحبّ نفسه. فإنّه لا أحد أبغض جسده قطّ، بل يغذّيه ويربّيه، كما يعامل المسيح الكنيسة» (أفسس ٥، ٢٥ و٢٨ـ٢٩). لا تخافوا من أن تُثبتوا للعيان مؤكّدين أنه ليس هناك حبّ أعظم من حبّ من يبذل

٨٣ يوحنا بولس الثاني، «عظة بمناسبة يوبيل العمر الثالث»، (١٧ سبتمبر ٢٠٠٠)، ٥؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٢ (٢٠٠٠)، ٨٧٦؛ راجع له أيضا «رسالة للمسنّين» (١ أكتوبر ١٩٩٩)؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٢ (٢٠٠٠)، ١٨٦ـ٢٠٤.

٨٤ راجع رسالة الختام، ٢٦.

نفسه في سبيل أحبائه (راجع يو ١٥، ١٣)، أي الزوجة والأبناء على رأس الجميع. بادروا إلى فرح صافٍ في منازلكم! فالزواج «هبة من الرب»، كما قال القديس فولجينسيوس من روسبي[٨٥]، ما تؤدّونه من شهادة لكرامة كل شخص إنساني وحرمتها، لأقوى علاج لمكافحة بعض الممارسات التقليدية المنافية للإنجيل والمجحفة، لا سيما في حقّ المرأة.

٥٣- أنتم مدعوّون، بإظهاركم وعيشكم أبوّة الله نفسه على الأرض (راجع أفسس ٣، ١٥)، إلى توفير التطوّر الشخصي لسائر أعضاء الأسرة، التي تشكّل مهد المجتمع وأقوى وسيلة لأنسنته، ونقطة اللقاء للأجيال المتوالية[٨٦]. عسى أن يزداد شعوركم بالمسؤولية، عن طريق حركة كلمة الله[٨٧] نفسها الخلّاقة، إلى حدّ انخراطكم فعليًا في الكنيسة! إنها محتاجة إلى شهود ثقة وأقوياء للإيمان، يدعمون المصالحة والعدالة والسلام[٨٨] ويقدّمون مساهمتهم بحماس وشجاعة لتغيير جوّ الحياة والمجتمع بجملتهما. فأنتم هؤلاء الشهود بواسطة أعمالكم، التي بها تضمنون عادة معيشتكم ومعيشة أسرتكم. بل بالحري بواسطة تقدمة هذه الأعمال لله، تشاركون في العمل الفدائي ليسوع المسيح الذي أضفى على العمل كرامة سامية بعمله في الناصرة بيديه[٨٩].

٥٤- جودة وقوّة إشعاع سلوككم المسيحي متعلّقتان بحياة صلاة خاشعة، تغذّيها كلمة الله والأسرار. فاسهروا إذا على الحفاظ على هذا البعد الجوهري في التزامكم المسيحي؛ حيث ستستمدّ شهادة إيمانكم في واجباتكم اليومية ومشاركتكم في الحركات الكنائسية مصدر طاقتها ونشاطها. وبفعلكم هذا تصبحون أيضا مثالا للأجيال الصاعدة التي ستحبّ الاقتداء بكم، وهكذا تساعدونهم على مباشرة حياة ناضجة

٨٥ الرسالة الأولى، ١١؛ مجموعة الآباء اللاتين ٦٥، ٣٠٦ج.

٨٦ يوحنّا بولس الثاني، «حياة الأسرة»، إرشاد منبثق عن السينودس (٢٢ نوفمبر ١٩٨١)، ٢٥ و٤٣؛ أعمال الكرسي الرسولي ٧٤ (١٩٨٢)، ١١٠-١١١؛ ١٣٤-١٣٥.

٨٧ راجع الاقتراح ٤٥.

٨٨ راجع رسالة الختام ٢٦.

٨٩ راجع المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، «الفرح والرجاء»، الدستور الرعوي عن الكنيسة في العالم المعاصر، ٦٧.

ومسؤولة. لا تخافوا أن تحدّثوهم عن الله، وتمهّدوا لهم بقدوتكم لحياة الإيمان والالتزام بالأنشطة الاجتماعية أو الخيرية، وتؤازروهم إلى أن يكتشفوا حقّا أنهم مخلوقون على صورة الله ومثاله: «علامات هذه الصورة الإلهية يمكن إدراكها في الإنسان، لا في صورة الجسد الفاني، بل في الفطنة والعقل والعدالة والقناعة والشجاعة والحكمة والعلم»[٩٠].

٥٥- د) النساء

النساء في أفريقيا، بما يملكن من مهارات متعدّدة ومواهب بلا بديل، يوفّرن للأسرة وللمجتمع وللكنيسة مساهمة كبرى. يوحنا بولس الثاني كان يقول: «المرأة هي التي يجد فيها نظام الحب في عالم الأفراد المخلوق، الأرضية الأولى لمد جذوره»[٩١]. الكنيسة والمجتمع يحتاجان إلى أن يحتلّ النساء كلّ ما يحقّ لهن من مكانة في العالم «لكي يُتاح للكائن البشري أن يعيش من غير أن يُجرّد كلّيّا من إنسانيّته»[٩٢].

٥٦- لا ننكر أنّ تقدّما تمّ لتعزيز ترقية المرأة وتربيتها في بعض البلدان الأفريقية. ومع ذلك فإنّ كرامتها وحقوقها ، كما ومساهمتها الجوهرية في الأسرة والمجتمع، بالجملة لم يحظيا بعد بالاعتراف والتقدير الكاملَين. وهكذا فإنّ ترقية الشابات والسيّدات كثيرا ما لا يجدان ما يجده الشبان والرجال من دعم. وما زالت كثيرة الممارسات التي تحقّر المرأة وتذلّلها، باسم التقاليد الموروثة. وانا أدعو مع آباء السينودس، تلاميذ المسيح بإصرار أن يكافحوا سائر أعمال العنف ضد النساء وشجبها وإدانتها[٩٣]. وفي هذا الصدَد ينبغي أن تكون الممارسات في نطاق الكنائس نفسها نموذجا لجملة المجتمعات.

---

٩٠ أوريجانوس «مقالة في المبادئ» ٤، ٤، ١٠. «المراجع المسيحية Sources Chrétiennes» ٢٦٨ (١٩٨٠) ص. ٤٢٧.

٩١ يوحنا بولس الثاني، «كرامة المرأة»، كتاب رسولي (١٥ أغسطس ١٩٨٨)، ٢٩؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨٠ (١٩٨٨)، ١٧٢٢؛ راجع بينيدكت السادس عشر، «لقاء مع الجمعيات الكاثوليكية الداعمة للمرأة» (لواندا ٢٢ مارس ٢٠٠٩)؛ «تعاليم» ١/٥ (٢٠٠٩)، ٤٨٤.

٩٢ بينيدكت السادس عشر، «لقاء مع الجمعيات الكاثوليكية الداعمة للمرأة» (لواندا ٢٢ مارس ٢٠٠٩)؛ «تعاليم» ١/٥ (٢٠٠٩)، ٤٨٤.

٩٣ راجع الاقتراح ٤٧.

٥٧ـ يومَ جئت إلى بلاد أفريقيا، ذكرت بقوّة أنه «لا بد من الاعتراف بالمساواة بين الرجل والمرأة وإقرارها والدفاع عنها: فكلّ منهما شخص يختلف عن سائر الكائنات الحيّة في العالم الذي يعشن فيه»[٩٤]. ممّا يؤسف له أن التطوّر في هذا الشأن شديد البُطء. من واجب الكنيسة أن تساهم في هذا الاعتراف بالمرأة وفي تحريرها، على هدى قدوة المسيح الذي أوفاها حقّها (راجع متى ١٥، ٢١ـ٢٨؛ لوقا ٧٦، ٣٦ـ٥٠؛ ٨، ١-٣؛١٠، ٣٨ـ٤٢؛ يوحنا ٤، ٧ـ٤٢). خلق مجال يُتاح لها فيه إلقاء كلمة، وتعبّر فيه عن مواهبها، بمبادرات تدعم قيَمها وكرامتها الذاتية وصفاتها الخاصة، قد يمهّد لها السبيل لاحتلال مكانة مساوية لمكانة الرجل في المجتمع ـ من غيرخلط ولا دمج ما يميّز كلا منهما ـ ما دام كل منهما «صورة» الخالق (راجع تكوين ١، ٢٧). عسى أن يشجّع الأساقفة ويعزّزوا تكوين النساء ليتسلّمن «جانبهنّ من المسؤولية والمشاركة في الحياة الجماعية للمجتمع والكنيسة»[٩٥]. إنّهن يشاركن بذلك في أنسنة المجتمع.

٥٨ـ أنتنّ، أيها النساء الكاثوليكيات، تنتمين إلى التقليد الإنجيلي للنساء اللواتي كنّ في خدمة المسيح والرسل (راجع لوقا ٨، ٣)! أنتن، بالنسبة إلى الكنيسة المحلّية، بمثابة «العمود الفقري»[٩٦]، لأن عددكنّ بحضوركن الفعّال وبمنظّماتكن تشكّلن دعما عظيما لرسالة الكنيسة. عندما السلام يُهدّد والعدالة تُمتهن، عندما الفقر يتفاقم، أنتن على أهبة الاستعداد للدفاع عن الكرامة الإنسانية والأسرة والقيَم الدينية. عسى أن يُتاح للروح القدس أن يبعث في الكنيسة بلا انقطاع نساء قدّيسات وشجاعات يقدّمن مساعدتهن الروحية السخيّة لنموّ مجتمعنا!

---

٩٤ بينيدكت السادس عشر، «لقاء مع الجمعيات الكاثوليكية الداعمة للمرأة» (لواندا ٢٢ مارس ٢٠٠٩)؛ «تعاليم» ١/٥ (٢٠٠٩)، ٤٨٤.

٩٥ الجمعية العامة العادية الثانية لسينودس الأساقفة، وثيقة «العدالة في العالم» (٣٠ نوفمبر ١٩٧١)، ٤٥؛ أعمال الكرسي الرسولي ٦٣ (١٩٧١)، ٩٣٣؛ أنظر يوحنا بولس الثاني، «الكنيسة في أفريقيا»، إرشاد رسولي منبثق عن السينودس، ١٢١؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨٨ (١٩٩٦)، ٧١ـ٧٢.

٩٦ انظر رسالة الختام، ٢٥.

٥٩ـ يا بنات الكنيسة العزيزات، تردّدن دائما على مدرسة المسيح، على غرار مريم في بيت عنيا، للاطّلاع على كلمته (راجع لوقا ١٠، ٣٩). حصّلن التعليم المسيحي وتعليم الكنيسة الاجتماعي، للتزوّد بمبادئ تساعدكنّ على العمل كتلميذات حقيقيات. ستستطعن بذلك أن تلتزمن بوعي في المشاريع النسائية المختلفة. تابعن الدفاع عن الحياة لأن الله جعلكنّ حاضنات لها. والكنيسة لن تتخلّى عن مساندتكنّ. ساعدن الشابات بالرأي والقدوة، ليواجهن سن البلوغ مطمئنّات. ليساند بعضكنّ بعضا! كرّمن المسنّات منكنّ. فالكنيسة متكلة عليكن لخلق «بيئة إنسانية»[٩٧]، عن طريق الحب والحنان، والقبول والرقة، وأخيرا عن طريق الرحمة، كلها قيَم أنتن ماهرات في نقلها إلى الأبناء، والعالم في حاجة ماسّة إليها. وهكذا بثروة مواهبكن وما تتسم به من أنوثة[٩٨]، ستدعمن المصالحة بين الأفراد والجماعات.

هـ) ـ الشبان

٦٠ـ يشكّل الشبان في أفريقيا أكثرية السكّان. هؤلاء الشبان هبة وكنز من الله، الكنيسة بأسرها تشعر بعرفان الجميل من أجلهم نحو رب الحياة[٩٩]. لا بدّ من أن نحبّ هؤلاء الشبان ونقدّرهم ونحترمهم. إنهم »تعبير عن تطلّع عميق، رغم بعض الشبهات، نحو تلك القيَم الأصيلة التي تجد كمالها في المسيح. أليس يا ترى المسيح هو سر الحرّية الحقيقية وفرح القلوب العميق؟ أليس المسيح الصديق الأوفى وفي نفس الوقت المربّي الأصيل لكل صديق؟ لو قُدم المسيح للشبان بوجهه الحقيقي، لشعروا وكأنه الرد المقنع، وهم قادرون على قبول رسالته رغم متطلّباتها واتسامها بالصليب»[١٠٠].

---

٩٧ بينيدكت السادس عشر، «رسالة يوم السلام العالمي ٢٠١٠»، ١١؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠٢ (٢٠١٠)، ٤٩؛ راجع له أيضا «المحبّة في الحقّ» (٢٩ يونيو ٢٠٠٩)، ٥١؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٦٨٧.

٩٨ يوحنا بولس الثاني، كتاب رسولي «كرامة المرأة» (١٥ أغسطس ١٩٨٨)، ٣١؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨٠ (١٩٨٨)، ١٧٢٧ـ١٧٢٩؛ له أيضا «رسالة إلى النساء» (٢٩ يونيو ١٩٩٥)، ١٢؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨٧ (١٩٩٥)، ٨١٢.

٩٩ راجع رسالة الختام ٢٧ـ٢٨.

١٠٠ يوحنا بولس الثاني، كتاب رسولي «في مطلع الألفية الجديدة» (٦ يناير ٢٠٠١)، ٩؛ أعمال

٦١ـ اهتمامي بالشباب حملني على أن أكتب في الإرشاد الرسولي «كلمة الرب»، المنبثق من السينودس، ما يلي: «في سنة الشباب تبرز بشكل حاد وصادق الأسئلة المتعلّقة بالحياة، وما هي الوُجهة التي ينبغي أن نتّخذها في حياتنا. الله وحده قادر على تقديم الردّ الشافي على هذه التساؤلات. هذا الاهتمام بعالم الشبيبة ينطوي على الشجاعة لكسب الثقة والألفة مع الكتاب المقدس، لكي يصبح بمثابة بوصلة تشير إلى الطريق الواجب شقّه. لذلك يحتاج الشباب إلى شهود ومعلّمين يواكبونهم في المسيرة ويرشدونهم للمحبّة وينقلون لهم بدورهم الإنجيل، لا سيما للذين من جيلهم، ويصبحوا هم أنفسهم مبشّرين حقيقيين وذوي مصداقية»[١٠١].

٦٢ـ القديس بينيدكتوس يطالب في قانونه رئيس الدير أن يُصغي إلى شبّانه بقوله: «كثيرا ما يلهم الرب الأحدث سنا رأيا أفضل»[١٠٢]، لا ينبغي إهمال إقحام الشبيبة مباشرة في حياة المجتمع والكنيسة، لكي لا يصيبها الشعور بالإحباط والرفض إزاء استحالة إمساكهم بزمام مستقبلهم، لا سيما في الظروف التي تعاني الشبيبة فيها من نقص في التكوين ومن البطالة والاستغلال السياسي وسائر أنواع التبعية[١٠٣].

٦٣ـ ايها الشباب الاعزاء، قد تغريكم حوافز من كلّ نوع: الإيدلوجيات، البدَع، المال، المخدّرات، الجنس المباح، العنف بأنواعه [...] احترسوا: جميع الذين يعرضون عليكم هذه الأمور يريدون هدم مستقبلكم! لا تستسلموا للإحباط رغم الصعوبات، ولا تتخلّوا عن مثالياتكم، عن التزامكم ودأبكم في التكوين الإنساني، والذهني والروحي! لتحصيل التمييز والقوّة اللازمة والحرّية، لمقاومة مثل هذه الضغوط، أنصحكم أن تجعلوا من يسوع المسيح مركز حياتكم برمّتها، بواسطة الصلاة وممارسة الأسرار والتكوين على تعليم الكنيسة الاجتماعي، وكذلك بمشاركتكم النشيطة والحماسية في المجموعات والحركات الكنائسية. عزّزوا بينكم التطلّع إلى الأخوّة

الكرسي الرسولي ٩٣ (٢٠٠١)، ٢٧١ـ٢٧٢.

١٠١ رقم ١٠٤؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠٢ (٢٠١٠)، ٧٧٢.

١٠٢ القاعدة الثالثة، ٣. أنظر يوحنا بولس الثاني، كتاب رسولي »في مطلع الألفية الجديدة« (٦ يناير ٢٠٠١)، ٤٥؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٣ (٢٠٠١)، ٢٩٨ـ٢٩٩.

١٠٣ راجع الاقتراح ٤٨.

والعدالة والسلام. المستقبل في أيدي من يجد أسبابا حافزة للحياة والأمل. المستقبل، إن شئتم، في أيديكم، لأن المواهب التي أنعم بها الرب على كل منكم، بوسعها، إذا استقوت بلقائها مع المسيح، أن تقدّم رجاء حقيقيا للعالم![١٠٤]

٦٤ـ عندما يتعلّق الأمر بتوجّهكم نحو خيارات الحياة، وكلما عُرض عليكم طلب تكريس كامل ـ عن طريق الكهنوت وخدماته أو الحياة المكرّسة ـ اتكلوا على المسيح، اهتدوا به، أصغوا إلى كلمته وتأمّلوها بنظام. في أثناء عظة قداس الافتتاح لحبريتي، نصحتكم بهذه الكلمات التي أرى أنه مفيد أن أكرّرها عليكم، لأنها لم تفقد واقعيّتها: «من يفتح الباب للمسيح لا يخسر شيئا، على الإطلاق، لا يخسر شيئا مما يجعل الحياة حرّة وجميلة وعظيمة. لا! لا تنفتح أبواب الحياة على مصاريعها إلا بهذه الصداقة. لا تنفرج حقّا إمكانات الأوضاع البشرية الكبيرة إلا بهذه الصداقة. [....] شبابي الأعزّاء: لا تخافوا من المسيح! إنه لا يأخذ شيئا ويعطي كلّ شيء. ومن يهبه ذاته ينال أضعافا مضاعفة. نعم، افتحوا الأبواب، إفتحوها على مصاريعها للمسيح تجدوا الحياة الحقيقية»[١٠٥].

و) ـ الأطفال

٦٥ـ الأطفال، على غرار الشبّان بالضبط، هبة من الله للبشرية، ولذلك من واجب أسَرهم والكنيسة والمجتمع والحكومات، أن يحيطوهم بعناية خاصة، لأنهم مصدر أمل وتجديد للحياة. والله قريب منهم بنوع خاص وحياتهم ثمينة في نظره، حتى عندما تبدو الظروف مضادة أو مستحيلة (راجع تكوين ١٧، ١٧ـ١٨؛ ١٨، ١٢؛ متى ١٨، ١٠).

٦٦ـ وفي الواقع «بالنسبة إلى الحقّ في الحياة، كل كائن بشري بريء، مساوٍ مساواةً مطلقة لجميع الآخرين. وهذه المساواة أساس كلّ علاقة

١٠٤ راجع بينيدكت السادس عشر، «رسالة ليوم السلام العالمي الحادي والعشرين» (٢٢ فبراير ٢٠١٠)، ٧؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠٢ (٢٠١٠) ٢٥٣ـ٢٥٤؛ له أيضا «كلمة الرب»، إرشاد رسولي منبثق عن المجمع (٣٠ سبتمبر ٢٠١٠)، ١٠٤؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠٢ (٢٠١٠)، ٧٧٢ ـ ٧٧٣

١٠٥ أعمال الكرسي الرسولي ٩٧ (٢٠٠٥)، ٧١٢.

جادّة اجتماعية، ولتتّصف حقّا بهذه الصفة لا يُمكن أن تُبنى إلا على الحق والعدالة، وتعترف بكل إنسان وكل امرأة وحميهما، كأشخاص لا كمَتاع قابل للتصرّف به»[١٠٦].

٦٧ـ ولذلك كيف لا نأسف ولا ندين بشدّة، التعامل المرفوض الذي لا يُطاق ويُعامل به عدد كبير من الأطفال في أفريقيا[١٠٧]؟ الكنيسة أمّ وليس بوسعها أن تتركهم، أيّا كانوا. من واجبنا أن نشملهم بنور المسيح ونقدّم لهم محبّته فيسمعوا قائلا يقول لهم: «قد صرت كريما في عينيّ ومجيدا، فإني أحببتك» (أشعيا ٤٣، ٤). يريد الله سعادة كل طفل وبسمته، لأنّه يحظى بتأييده «لأنّ لأمثال هؤلاء ملكوت السماوات» (مرقس ١٠، ١٤).

٦٨ـ يسوع المسيح أظهر في كلّ الأحوال تفضيله للصغار (أنظر مرقس ١٠، ١٣ـ١٦). والإنجيل نفسه مفعَم حتى الأعماق بحقائق تتعلّق بالطفل. فإنّه ما معنى «إذا لم تتوبوا وتصيروا مثل هؤلاء الصغار، لن تدخلوا ملكوت السماوات» (متى ١٨، ٣)؟ ألم يجعل يسوع، يا ترى، من الطفل نموذجا للبالغين أيضا؟ ففي الطفل نجد ما ينبغي ألا يخلو منه قط من يريد أن يدخل ملكوت السماوات. فالسماء موعودة لكلّ من هم بسطاء كالأطفال، للذين يفيضون بروح الاتكال والثقة، للأنقياء الأثرياء بالخير. هؤلاء وحدهم بوسعهم أن يجدوا في الله أبا ويصبحوا بفضل يسوع أبناء الله. ونحن، أبناء وبنات والدينا، الله يريد أن نكون ابناءه بالتبني والنعمة[١٠٨]!

١٠٦ يوحنا بولس الثاني، »إنجيل الحياة«، رسالة عامّة (٢٥ مارس ١٩٩٥)، ٥٧؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨٧ (١٩٩٥)، ٤٦٦.

١٠٧ لقد ذكر آباء السينودس ظروفا مختلفة: كالأطفال ـ على سبيل المثال ـ الذين يُقتلون قبل الولادة ، والصغار غير المرغوب فيهم، والأيتام، والمخضرمين، وأطفال الشوارع، واللقطاء، والأطفال الجنود، والأطفال السجناء، والصغار المجبرين على العمل، والمعرّضين لسوء المعاملة بسبب عاهة عضوية أو عقلية، والمعتبرين من السحَرة، والأحداث المطلق عليهم «ثعابين»، والأولاد الذين يُباعون كرقيق للجنس، والذين تعرّضوا لصدمة حرمتهم من أي أمل في المستقبل... (راجع الاقتراح ٤٩).

١٠٨ راجع يوحنا بولس الثاني، «رسالة إلى الأطفال» (١٣ ديسمبر ١٩٩٤)؛ «تعاليم» ٢/١٧ (١٩٩٤)، ١٠٧٧.

ثالثا: نظرة الأفريقي إلى الحياة

٦٩ـ في الرؤية الأفريقية إلى العالم، ينظر الأفريقي إلى الحياة كحقيقة تشمل وتضم الأجداد والأحياء، والأطفال الذين سيولدون، والخليقة بأسرها وكل الكائنات: الناطقين وغير الناطقين، المفكّرين والذين لا فكر لهم. العالمان: المنظور وغير المنظور، يُعتبران مجالا لحياة الإنسان، لكن أيضا مجالا للاتصال، حيث الأجيال الماضية إلى جانب الأجيال الحاضرة بشكل منظور، وهذه الأخيرة أمهات للأجيال القادمة. هذا الانفتاح الملفت بالقلب والروح، بحكم تقاليدكم الأفريقية، يجعلكم، أيها الإخوة والأخوات، على أهبة الاستعداد للإصغاء وتلقّي رسالة المسيح وإدراك سرّ الكنيسة، مولين عظيم التقدير لحياة الإنسان وشروط نموّها وازدهارها.

أ) حماية الحياة

٧٠ـ ضمن المواقف المهيّأة لحماية حياة الإنسان في القارّة الأفريقية، وضع أعضاء السينودس في اعتبارهم الجهود التي تبذلها الهيئات الدولية دعما لبعض وجوه النمو[١٠٩]. على أنه مما أثار قلقهم بعض الغموض في الرؤية الأخلاقية في اللقاءات الدولية، لا بل ضرب من اللغو ينقل قيَما منافية للأخلاقيات الكاثوليكية.فالكنيسة ما زالت حريصة على النمو التام «لكل إنسان وللإنسان برمّته»، كما كان يقول البابا بولس السادس[١١٠]. لهذا السبب أراد آباء السينودس أن يؤكّدوا النقاط المبهمة في بعض وثائق الهيائات الدولية: لا سيما المتعلّقة بصحّة النساء وبالإنجاب. موقف الكنيسة من الإجهاض ليس فيه أية شُبهة. فالطفل في بطن أمّه حياة إنسانية لا بدّ من حمايتها. والإجهاض، المؤدّي إلى القضاء على بريء لم يولد بعد، ينافي الإرادة الإلهية، لأن قيمة الحياة وكرامتها لا بدّ من حمايتهما منذ الحمْل حتى الموت الطبيعي. فعلى الكنيسة في أفريقيا والجزر المجاورة أن تجهد في مساعدة ورعاية السيدات والأزواج الذين يستهويهم الإجهاض، وإعانة من مرّ بهذه التجربة المرّة، لتعليمهم احترام

١٠٩ أنظر رسالة الختام، ٣٠.

١١٠ الرسالة العامة «رقيّ الشعوب» (٢٦ مارس ١٩٧٦)، ١٤؛ أعمال الكرسي الرسولي ٥٩ (١٩٦٧)، ٢٦٤؛ راجع بينيدكت السادس عشر، الرسالة «المحبّة في الحقّ» (٢٩ يونيو ٢٠٠٩)، ١٨؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٦٥٣ـ٦٥٤.

الحياة. إنها تقدّر شجاعة الدول التي سنّت قوانين ضد ثقافة الموت، التي يمثّل الإجهاض وجهها الدرامي، وتؤيّد ثقافة الحياة[١١١].

٧١ـ لا تجهل الكنيسة أنه كثير عدد الأفراد والجمعيات والمكاتب المتخصّصة أو الدول التي ترفض تعاليم صحّية في هذا الصدَد. «لا ينبغي أن نخشى العداء وفقدان الشعبية، لرفضنا سائر الحلول الوسَط و المبهمة، التي قد توفّقنا مع عقلية هذا العالم (أنظر رم ١٢، ٢) «يجب علينا أن نكون في العالم ولكن لسنا من العالم»، بالقوّة التي تأتينا من المسيح، الذي بموته وقيامته غلب العالم (راجع يو ١٦، ٣٣)»[١١٢].

٧٢ـ مخاطر جسيمة تهدّد الحياة في أفريقيا. لا يسعنا، كما فعلنا في مناسبات أخرى، إلا أن نشجب مآسي المخدّرات والإسراف في الكحول، مما يدمّر طاقات القارّة الإنسانية ويستهدف بنوع خاص الشبيبة[١١٣]. فالملاريا[١١٤]. وكذلك السلّ ونقص المناعة، تحصد الشعوب الأفريقية وتعرّض حياتها الاجتماعية والاقتصادية بجدّية للخطر. مشكلة نقص المناعة بنوع خاصّ تقتضي بلا شكّ استجابة طبّية وعلاجية. ومع ذلك فهذا لا يكفي لأن المشكلة أعمق من ذلك. إنها في المقام الأوّل أخلاقية. فما تتطلّبه من تغيير في المواقف ـ الانقطاع الجنسي، على سبيل المثال، ونبذ الاختلاط الجنسي، والأمانة الزوجية ـ كلّ ذلك يستدعي في آخر المطاف نموّا متكاملا يحتاج إلى طروح وإجابات شمولية من الكنيسة. فإن الوقاية من نقص المناعة، لكي تكون فعّالة. ينبغي في الواقع أن تستند إلى تربية جنسية مبنية هي الأخرى على علم إنساني، راسٍ على حقوق طبيعية، مستنيرة بكلمة الله وتعاليم الكنيسة.

٧٣ـ باسم الحياة ـ التي من واجب الكنيسة حمايتها والدفاع عنها ـ وبمعيّة آباء السينودس، أجدّد مساندتي وأتوجّه إلى سائر المؤسّسات وسائر

١١١ راجع الاقتراح ٢٠.
١١٢ يوحنا بولس الثاني، «إنجيل الحياة»، رسالة عامّة (٢٥ مارس ١٩٩٥)، ٨٢؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨٧ (١٩٩٥)، ٤٩٥.
١١٣ راجع الاقتراح ٥٣.
١١٤ راجع الاقتراح ٥٢.

الحركات الكنسية العاملة في قطاع الصحّة، وعلى رأسها قطاع نقص المناعة. إنّكم تنجزون عملا رائعا وهامّا. أرجو الوكالات الدولية أن تعترف بكم وتساعدكم، مع احترام خاصّيتكم وبروح التعاون. أشجّع مرّة أخرى بقوّة معاهد بحوث العلاج والأدوية ومناهجها، العاملة في الوقت الراهن على القضاء على الأوبئة. لا تدّخروا أي جهد في سبيل الحصول في أسرع وقت على نتائج، حبا بهبة الحياة الثمينة[١١٥]، لعلّكم تجدون العلاجات والأدوية وتجعلونها في متناول الجميع، مع أخذ عدم الاستقرار في الاعتبار. والكنيسة تساند منذ مدّة طويلة قضيّة علاج طبّي عالي الجودة وزهيد السعر بالنسبة إلى جميع الأفراد المعنيين[١١٦].

٧٤ـ الدفاع عن الحياة يقتضي أيضا استئصال الجهل عن طريق محو أمّية الشعوب وتربيتها تربية جادّة، تشرك الشخص برمّته. إن الكنيسة الكاثوليكية، على مدى تاريخها، أولت التربية اهتماما خاصّا، ولم تنفكّ تعمل على توعية الوالدين وتشجيعهم ومساعدتهم على القيام بمسؤوليتهم، كأوّل مربّين على الحياة والإيمان، بالنسبة إلى بنيهم. المؤسّسات الأفريقية ـ كالمدارس والكلّيات، والمدارس الثانوية والمهنية، والجامعات ـ تضع تحت تصرّف الشعب آليات لتحصيل العلوم، بدون تمييز العرق أو الدين أو الإمكانيات الاقتصادية. فالكنيسة تقدّم مساهمتها ليمكن تقييم واستثمار المواهب التي جعلها الله في قلب كل إنسان. جمعيات دينية مختلفة نشأت لهذا الغرض. ولا يُحصى عدد القديسين والقديسات الذين أدركوا أن تقديس الإنسان يعني في المقام الأوّل تعزيز كرامته عن طريق التربية.

٧٥ـ لقد لاحظ السينودس أن أفريقيا، هي الأخرى على غرار غيرها من بلاد العالم، تمرّ بأزمة في التربية[١١٧]. لقد أكّدوا ضرورة برنامج تربوي يوفّق بين الإيمان والعقل، لإعداد الأطفال والشبان على حياة البلوغ. وضع أسس ومرجعيات سليمة على هذا النهج، قد يتيح لهم مواجهة الخيارات

١١٥ راجع الاقتراح ٥١.
١١٦ راجع رسالة الختام ٣١.
١١٧ راجع الاقتراح ١٩.

اليومية، مع اعتبار كل حياة بالغة على الصعيد العاطفي والاجتماعي والمهني والسياسي.

الأمّية تمثّل واحدا من أخطر العوائق للنمو. إنها كارثة شبيهة بالوباء إنّها لا تقتل بالتأكيد بطريقة مباشرة، لكنّها تؤدّي لا محالة إلى تهميش الشخص ـ وهذا نوع من الموت الاجتماعي ـ وتسدّ في وجهه أبواب المعرفة. محو أمّية الفرد يعني جعله عضوا بكامل الحقوق في الدولة، التي سيتمكّن من المساهمة في بنائها[118]. ويتيح للمسيحي الوصول إلى كنز الكتاب المقدس الثمين الذي يغذّي حياته الإيمانية.

٧٧ـ أدعو الجماعات والمنشآت الكاثوليكية إلى التفاعل الجادّ مع هذا التحدّي، الذي يشكّل مختبَرا حقيقيا للأنسنة، وإلى تكثيف جهودها وفق الوسائل المتاحة، لتُطوّر ـ وحدها، أو بمساعدة منظّمات أخرى ـ برامج فعّالة وملائمة للشعوب، والجماعات والمنشآت الكاثوليكية لن تتغلّب على هذا التحدّي ما لم تحافظ على هويّتها الكنائسية مع التمسّك بالوفاء للرسالة الإنجيلية وموهبة المؤسس. الهوية المسيحية خيرُ ثمين يحتاج إلى وقاية وحراسة، مخافةَ أن يفقد الملح طعمه وينتهي تحت أقدام من يدوسه (راجع متى ٥، ١٣).

٧٨ـ لا شكّ في أنه ينبغي توعية الحكومات لكي تكثّف مساعداتها لتعزيز المدارس. فالكنيسة تعترف بدور الدولة في المجال التربوي وتحترمه. على أنها تؤكّد حقّها المشروع في المشاركة فيه، مقدّمة مساهمتها الخاصّة. ولا يخلو من أهمّية أن تُذكَّر الدولة أن الكنيسة من حقّها التربية، وفق قواعدها وفي مبانيها الخاصّة. وهذا حقّ مرتبط بحرّيتها في العمل «على قدر ما تحتاج إليه لتدبير خلاص الكائنات البشرية»[119]. عدد كبير من الدوَل الأفريقية تعترف بالدور البارز والنزيه الذي تقوم به الكنيسة، بمنشآتها التربوية لبناء دوَلهم. وانا أشجّع بقوّة الحكّام في ما يبذلونه من

١١٨ أنظر بينيدكت السادس عشر، رسالة عامّة «المحبة في الحق» (٢٩ يونيو ٢٠٠٩)، رقم ٢١؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٦٥٥ـ٦٥٦.

١١٩ أنظر المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني «كرامة الإنسان» وإعلانها، ١٣.

جهد دعما لهذا النشاط التربوي.

ب) احترام الخليقة والنظام البيئي

٧٩ـ أدعو مع آباء المجمع، جميع أبناء الكنيسة، للعمل ولاتخاذ موقف مؤيّد لاقتصاد مُوالٍ للفقراء ومعارض بحزم لنظام ظالم كثيرا ما ساهم في تفاقم الفقر بحجة خفضه[١٢٠]. لقد منح الله أفريقيا موارد طبيعية هامّة. ثراء بعض المجموعات إزاء فقر شعوبها المزمن، ضحية الاستغلال والاختلاس المحلّي والأجنبي، يحزّ في الضمير الإنساني. من شأن هذه المجموعات تكوين الثروات في بلادها، لكن كثيرا ما تؤمّن مصالحها الشخصية على حساب رخاء الشعوب المحلية، ربّما بالتواطؤ مع أصحاب السلطة الأفارقة[١٢١]. على الكنيسة، بالتعاون مع سائر هيئات المجتمع المدني، أن تشجب الأنظمة الظالمة التي تحول دون دعم الشعوب الأفريقية لاقتصادها[١٢٢]، «لتنمو وفق ميزاتها وثقافتها الخاصّة»[١٢٣]. كما ومن واجب الكنيسة أن تكافح «ليصبح كلّ شعب هو نفسه الصانع الرئيسي لرقيّه الاقتصادي والاجتماعي [...] ويستطيع أن يشارك في تحقيق الخير العام الجماعي، كعضو نشيط ومسؤول في المجتمع الإنساني، على قدم المساواة مع سائر الشعوب»[١٢٤].

٨٠ـ رجال ونساء أعمال، وحكومات ومجموعات اقتصادية، منشغلة في برامج استغلالية تلوّث البيئة وتسبّب تصحّرا غير مسبوق. تعدّيات خطيرة تُمارَس ضد الطبيعة والغابات والنبات والحيوان، وأجناس لا تُحصى مهدّدة بالزوال إلى الأبد. كل هذا يشكّل تهديدا للنظام البيئي، وبالتالي

١٢٠ راجع الاقتراح ١٧ و٢٩.
١٢١ راجع رسالة الختام، ٣٢.
١٢٢ بينيدكت السادس عشر، رسالة عامة «المحبة في الحق» (٢٩ يونيو ٢٠٠٩)، ٤٢؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٦٧٧ـ٦٧٨؛ والاقتراح ١٥.
١٢٣ الجمعية العامة العادية الثانية لسينودس الأساقفة، وثيقة «العدالة في العالم» (٣٠ نوفمبر ١٩٧١)، الاقتراح الثامن؛ أعمال الكرسي الرسولي ٦٣ (١٩٧١)، ٩٤١.
١٢٤ نفس المرجع الاقتراحات ٨ب و٨ج. أعمال الكرسي الرسولي ٦٣ (١٩٧١)، ٩٤١.

لبقاء الإنسانية[١٢٥]. أناشد الكنيسة في أفريقيا أن تشجّع الحكام على حماية الخيرات الأساسية، كالأرض والماء، من أجل حياة الإنسان لدى الأجيال الحاضرة والمستقبلة[١٢٦]، وفي سبيل السلام بين الشعوب.

ج ـ الدوَل وحكمها العادل

٨١ـ بوسع المنشآت السياسية أن تشكّل وسيلة من أهمّ الوسائل لخدمة المصالحة والعدالة والسلام، فواجبها الجوهري تولّي النظام العادل وتنفيذه[١٢٧]. هذا النظام بدوره في خدمة «دعوة الأفراد إلى المشاركة»[١٢٨]. لإنجاز مثل هذا الهدف الطموح، على الكنيسة في أفريقيا أن تساهم في بناء المجتمع، بالتعاون مع السلطات الحاكمة والهيئات العامّة والخاصّة، الناشطة في بناء الخير العام[١٢٩]. الرؤساء التقليديون بوسعهم أن يساهموا مساهمة جدّ إيجابية في سبيل حكم جيّد. والكنيسة من ناحيتها، تتعهّد بأن تعزّز في نطاقها ونطاق المجتمع ثقافة حريصة على أوّلية القانون[١٣٠]. فالانتخابات، على سبيل المثال، تمثّل فرصة للتعبير عن خيار الشعب السياسي، وتدلّ على الشرعية في ممارسة السلطة. إنها مناسبة مميّزة لحوار عام، وصحّي وهادئ، يميّزه احترام الآراء المختلفة والمجموعات السياسية المتعدّدة. تنظيم سير جيّد للانتخابات يعزّز ويشجع المشاركة الفعلية والحية من قبَل المواطنين في الحياة السياسية والاجتماعية. وعدم احترام الدستور الوطني والقانون أو نتيجة الانتخابات ـ حيث أجريت بحرّية، وبإنصاف وشفافية ـ من شأنه أن يُظهر خللا جسيما في ممارسة الحكم ويعني نقصا في الاختصاص في تصريف الشؤون العامّة[١٣١].

١٢٥ راجع الاقتراح ٢٢

١٢٦ راجع الاقتراح ٣٠

١٢٧ راجع مجمع عقيدة الإيمان، »ملحوظات عقائدية حول بعض المسائل المتعلّقة بالتزام المواطنين الكاثوليك وسلوكهم في المجال السياسي« (٢٤ نوفمبر ٢٠٠٢)؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٦ (٢٠٠٤)، ٣٥٩ـ٣٧٠.

١٢٨ تعليم الكنيسة الكاثوليكية، ٢٤١٩.

١٢٩ رآجع الاقتراج ٢٤؛ بينيدكت السادس عشر، رسالة عامة «المحبة في الحق» (٢٩ يونيو ٢٠٠٩)، ٥٨. ٦٠، ٦٧؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٦٩٣ـ٦٩٤، ٦٩٥، ٧٠٠ـ٧٠١؛ «تعليم الكنيسة الكاثوليكية»، ١٨٨٣، ١٨٨٥.

١٣٠ راجع الاقتراح ٢٥.

١٣١ راجع الاقتراح ٢٦.

٨٢ـ عدد كبير من أصحاب القرارات، في أيامنا هذه، سواء كانوا من السياسيين أو رجال الاقتصاد، يدّعون أنهم غير مسؤولين عن شيء أمام أي إنسان إلا أمام أنفسهم. «يعتبرون أنفسهم من أصحاب الحقوق لا غير، وكثيرا ما تعترضهم عقبات في الوصول إلى نضوج ومسؤولية، في سبيل النمو المتكامل لهم ولغيرهم. لذلك لا يخلو من أهمّية بعث أفكار جديدة، في شأن الحقوق التي تفترض الواجبات، وإلا تحوّلت إلى تعسّف[١٣٢].

٨٣ـ معدل نمو الجريمة متزايد في المجتمعات الاكثر حضرية، مما يشكل مصدر قلق كبير لجميع المسؤولين والحكّام. ولذلك من الأمور الملحّة تطبيق نظم قضائية وجنائية مستقلّة، لاستعادة العدالة إلى نصابها، وتأديب المذنبين. كما ولا بدّ من حظر حالات الخطأ في العدالة وسوء معاملة المساجين، والحالات المتكرّرة في عدم تطبيق القانون، مما يعني انتهاك حقوق الإنسان[١٣٣]، والاعتقالات التي لا تنتهي إلا متأخّرة أو لا تنتهي قط بمحاكمة. إن الكنيسة في أفريقيا [...] تشعر برسالتها النبوية إزاء ضحايا الجريمة وحاجتهم إلى المصالحة والعدالة والسلام»[١٣٤]. المساجين من البشر، ويستحقّون ـ رغم جريمتهم ـ أن يعامَلوا باحترام وكرامة. ومحتاجون إلى رعايتنا. لذلك على الكنيسة أن تنظّم الخدمات الرعوية في عالم السجون، لخير المساجين المادي والروحي. هذا النشاط الرعوي خدمة حقيقية، تقدّمها الكنيسة للمجتمع، وعلى الدولة تعزيزها من أجل الخير العام. ألفت ـ مع أعضاء السينودس ـ أنظار المسؤولين في المجتمع، إلى ضرورة عمل ما يمكن عمله، وصولا إلى إلغاء عقوبة الإعدام[١٣٥]. وكذلك إلى إصلاح النظم الجنائية ضمانا لكرامة شخصية المساجين الإنسانية. ومهمّة خدّام الرعايا، دراسة العدالة التعويضية واقتراحها كوسيلة وآليّة لتعزيز المصالحة والعدالة والسلام، وإعادة دمج الضحايا والمخالفين في المجتمع[١٣٦].

---

١٣٢ بينيدكت السادس عشر، رسالة عامة «المحبة في الحق» (٢٩ يونيو ٢٠٠٩)، ٤٣. ٦٠، ٦٧؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٦٧٩.

١٣٣ راجع الاقتراح ٥٤.

١٣٤ نفس المرجع.

١٣٥ راجع الاقتراح ٥٥.

١٣٦ راجع الاقتراح ٥٤.

د) المهاجرون والناجون واللاجئون

٨٤ـ ملايين من المهاجرين والناجين واللاجئين يبحثون عن وطن وبلد سلام في أفريقيا أو في قارّات أخرى. أبعاد مثل هذا النزوح الذي يصيب سائر البلاد، تكشف النقاب عن تفاقم أنواع من مختلف الأمراض الخفيّة. الناجّة في أحيان كثيرة عن عيوب في الإدارة العامّة. ألوف من الأشخاص حاولوا وما زالوا يحاولون عبور الصحارى والبحار، بحثا عن واحة سلام ورخاء، عن تكوين أفضل وحرّية أوفر. وممّا يؤسَف له أن عددا كبيرا من اللاجئين أو الناجين يتعرّضون لسائر أنواع العنف والاستغلال، بل قل للسجن وأحيانا كثيرة للموت. بعض الدوَل واجهت هذه المأساة بتشريعات قمعية[١٣٧]. كان على أوضاع هؤلاء المساكين المذرية أن تثير شفقة الجميع وتضامنهم السخي. لكنّها بالعكس كثيرا ما تبعث الخوف والقلق. ذلك إن الكثيرين يعتبرون المهاجرين بمثابة عبء، وينظرون إليهم شزرا، إذ لا يرون فيهم إلا الخطر وعدم الأمان والتهديد. نظرة كهذه تؤدّي إلى ردود فعل من عدم التسامح والرعب من الأجنبي والعنصرية. والنتيجة هي أن هؤلاء المهاجرين يُجبرون من أنفسهم على أداء أعمال بأجور متدنّية وأحيان كثيرة غير مشروعة، ومذلّلة ومهينة. والضمير الإنساني لا يسعه إلا أن يسخط إزاء هذه الأوضاع. فالهجرة إلى داخل أو خارج القارّة تصبح بذلك مأساة ذات أبعاد متعدّدة، وتصيب الرأسمال الإنساني الأفريقي في مقتل، مؤدّيةً إلى زعزعة استقرار الأسرة أو تدميرها.

٨٥ـ الكنيسة لا تنسى أن أفريقيا كانت الأرض التي لجأت إليها الأسرة المقدّسة، هروبا من وجه سلطة هيرودس السياسية الدموية[١٣٨]، بحثا عن أرض أمّلتها بالأمان والسلام. فالكنيسة ستتابع رفع صوتها وتعهّدها دفاعا عن كلّ فرد[١٣٩].

---

١٣٧ راجع الاقتراح ٢٨.

١٣٨ بينيديكت السادس عشر «خطبة لأعضاء المجلس الخاص بأفريقيا في سينودس الأساقفة» (ياوندي، ١٩ مارس ٢٠٠٩)؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٣١٠.

١٣٩ بينيديكت السادس عشر، رسالة عامة «المحبة في الحق» (٢٩ يونيو ٢٠٠٩)، ٦٢؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٦٩٦ـ٦٩٧.

هـ) العولمة والمساعدات الدولية

٨٦ـ لقد عبّر آباء السينودس عن دهشتهم وقلقهم إزاء العولمة. لقد سبق لي أن لفتّ الأنظار إلى هذه الحقيقة، كتحدٍّ لا بدّ من مواجهته. حقيقة العولمة كمسار، ومعاييرها الأخلاقية الأساسية، نابعة عن وحدة الأسرة الإنسانية ونموّها في الخير. ينبغي إذن عمل دؤوب، تعزيزا لنظرة ثقافية فردية وجماعية، منفتحة على التسامي في عملية التكامل الكوكبي»[١٤٠]. الكنيسة تأمل من عولمة التضامن أن يصل إلى تبنّي «مبدأ المجّانية ومنطق الهبة في العلاقات التجارية، كتعبير عن الأخوّة»[١٤١]، مع تجنّب إغراء الفكرة الواحدة في الحياة والثقافة والسياسة والاقتصاد، دعما لاحترام أخلاقي ثابت للوقائع الإنسانية المختلفة، في سبيل تضامن فعّال.

٨٧ـ عولمة التضامن هذه تتجلّى منذ الآن إلى حدّ ما في المساعدات الدولية. فخبر كارثة في يومنا هذا يعبر الكوكب بسرعة، ويثير في أحيان كثيرة موجة من الإشفاق ومن المبادرات السخية الفعلية. والكنيسة تقدّم خدمة محبّة مرموقة بالدفاع عن احتياجات المنكوبين الحقيقية، باسم حقوق المحتاجين ومن لا صوت لهم، كما وباسم الاحترام والتضامن الواجبَين نحوهم، تناشد «الأجهزة الدولية والتنظيمات غير الحكومية أن تلتزم بشفافية كاملة»[١٤٢].

رابعا: الحوار والشركة بين المؤمنين

٨٨ـ كما يتّضح لنا من عدد كبير من الحركات الاجتماعية، العلاقات بين الأديان تفرض نفسها على السلام في أفريقيا، وكذلك في غيرها. وبالتالي، لا يخلو من أهمّية أن تعزّز الكنيسة الحوار، كموقف روحي، ليتعلّم المؤمنون أن يعملوا معا، على سبيل المثال في الجمعيات الهادفة إلى السلام والعدالة، بروح من الثقة والمعونة المتبادلة. والأسَر يجب تعويدها على الإصغاء والأخوّة واحترام الآخر بلا خوف[١٤٣]. شيء واحد ضروري (لوقا ١٠، ٤٢)

١٤٠ المرجع نفسه، ٤٢؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٦٧٧.
١٤١ المرجع نفسه، ٤٢؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٦٧٢.
١٤٢ المرجع نفسه، ٤٢؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٦٨٤؛ راجع الاقتراح ٣١.
١٤٣ واجع الاقتراحات ١٠ـ١٣.

وقادر على إرواء ظمأ كل إنسان إلى الأبدية ورغبته في وحدة الإنسانية بأكملها: حبّ وتأمّل ذلك الذي هتف أمامه القديس أغسطينوس : «يا للحقيقة الأبدية، والمحبة الحقيقية، والأبدية الحبيبة![١٤٤]»

أ) الحوار المسكوني وتحدّي الحركات الدينية الجديدة

٨٩ـ أردت بتوجيه دعوتي إلى الإخوة المسيحيين الأرثوذكس، الأقباط الأرثذكس واللوثريين والأنجليكان والميثوديين ـ وبنوع خاص إلى قداسة الأب بولس بطريرك الكنيسة الأرثذكسية تاواهيدو الحبشية، إحدى أقدم الجماعات المسيحية في أفريقيا ـ أردت بدعوتهم إلى المشاركة في جمعية السينودس أن أقول لهم أن مسيرة المصاحة تمرّ في المقام الأوّل بالوحدة بين تلاميذ المسيح. فمسيحية ممزّقة عارٌ في كلّ الأحوال، لأنها تتنافى بواقعها مع رغبة المعلّم (أنظر يو ١٧، ٢١). والحوار المسكوني يهدف إذن إلى توجيه سيرنا نحو وحدة المسيحيين بالدأب على الإصغاء إلى كلمة الله والوفاء للشركة الأخوية وكسر الخبز والصلاة (راجع أعمال الرسل ٢، ٤٢). أناشد الأسرة الكنسية بأسرها ـ الكنائس الخاصة ومؤسسات الحياة المكرّسة والجمعيات والحركات العلمانية ـ أن تتابع هذه لمسيرة بالمزيد من الجدّية، بروح الدليل المسكوني ووفق توجيهاته، وعن طريق ما هو متوفّر من جمعيات مسكونية مختلفة. كما أدعو إلى تشكيل غيرها حيث يوفّر ذلك مساعدة للرسالة. عسى أن نستطيع معا أن نبادر إلى أعمال خيرية، ونحمي التراث الديني، الذي بفضله يجد تلاميذ المسيح الطاقات الروحية اللازمة لبناء الأسرة البشرية![١٤٥]

٩٠ـ على مدى هذه العقود الأخيرة، كثيرا ما تساءلت الكنيسة في أفريقيا حول نشأة جماعات غير كاثوليكية وانتشارها، يُطلق عليها أيضا في بعض الأحيان أفريقية أصيلة «الكنائس الأفريقية المستقلّة». كثيرا ما تنحدر عن كنائس أو جماعات كنائسية مسيحية تقليدية، وتتبنّى بعض ممارسات الثقافات التقليدية الأفريقية. هذه المجموعات ظهرت مؤخّرا على المسرح المسكوني. على رعاة الكنيسة الكاثوليكية أن يضعوا في

١٤٤ الاعترافات ٧، ١٠، ١٦. مجموعة الآباء اللاتين ٣٢، ٧٤٢.
١٤٥ راجع الاقتراح ١٠.

اعتبارهم هذا الواقع الجديد، دعما لوحدة المسيحيين في أفريقيا. وبالتالي عليهم أن يقدّموا إجابة ملائمة لهذا السياق، في سبيل بشرى إنجيلية أعمق لتبليغ حقيقة المسيح إلى الأفريقيين على وجه أكمل.

٩١ـ أضف إلى ذلك أن عدّة حركات توفيقية وبدَع، رأت النور في هذه العقود الأخيرة. في بعض الأحيان من الصعب التمييز إن كانت من ذوي الروح المسيحية الأصيلة، أو هي مجرد ثمرة افتتان بـ «قائد» يدّعي حيازة مواهب فائقة. تسمياتهم ولغتهم كثيرا ما تُشعِر بالفوضى وبوسعهم أن يخدعوا السذّج من المؤمنين. هذه البدَع الكثيرة تستفيد من بنيات حكومية ناشئة وتفكّك التضامن الأسَري التقليدي، والتربية المسيحية الناقصة، فتستغلّ السذاجة وتقدّم بواجهة دينية معتقدات متنوّعة وغير قويمة ولا مسيحية. إنها تهدم سلام المتزوجين والعائلات بواسطة نبوءات ورؤى كاذبة. وتُغري أيضا زعامات سياسية. على لاهوتيي الكنيسة ورعاتها أن يرصدوا هذه الظاهرة، لا لوقف «نزيف» المؤمنين من الرعايا نحوها فقط، بل ولوضع أسس لإجابة رعوية ملائمة لما تمارسه هذه الحركات والبدع من جاذبية عليهم. وهذا يعني، مرة أخرى، كرازة الإنجيل بعمق للروح الأفريقية.

ب) حوار الأديان

ا) الأديان الأفريقية التقليدية

٩٢ـ الكنيسة تعايش كلّ يوم أتباع الأديان الأفريقية التقليدية. هذه الأديان مرجعيتها الأجداد ونوع من الوساطة بين الإنسان والباطنية، هذه هي الأرضية الثقافية والروحية القادم منها معظم المسيحيين المهتدين الذين يحافظون على علاقة يومية معها. يُحبّذ اختيار بعض الأشخاص حسني التكوين من بين المهتدين، ليصبحوا مرشدين للكنيسة في معرفة أعمق وأدقّ، للتقاليد والثقافة والأديان التقليدية. تحديد نقاط الخلاف

تصبح بذلك أسهل. قد نصل أيضا إلى ما يلزم من تمييز بين ما هو ثقافي وما هو ديني؛ وتُستبعد العناصر السحرية التي تشكّل سبب انقسام العائلات والمجتمع وخرابهما. لقد وضّح المجمع الفاتيكاني الثاني، بهذا المعنى، أن الكنيسة «تناشد أبناءها أن يعترفوا بما يجدونه لدى أتباع الأديان الأخرى من قيَم روحية وأخلاقية واجتماعية وثقافية، ويحافظوا عليه وينمّوه بحكمة ومحبّة، بواسطة الحوار والتعاون معهم، مع تقديم الشهادة للإيمان والحياة المسيحيين»[١٤٦]. وقد تبحث الكنيسة، بدراسة لاهوتية، بعض عناصر الثقافات الأفريقية التقليدية المتّفقة مع تعاليم المسيح، للعمل على تسهيل اكتشاف كنوز حياة الأسرار المقدسة والروحانية الكنسية، بكل ما فيها من عمق، ونقلها عن طريق التربية المسيحية.

٩٣ـ يبدو أن السحر يحظى في أيامنا هذه بحيويّة جديدة لاستناده إلى الأديان التقليدية، مما يؤدّي إلى عودة مخاوف ينتج عنها قيود وأوهام تشلّ. الخوف على الصحة والرخاء والأطفال والمناخ وحماية ذلك من الأرواح الشرّيرة، يؤدّي من حين لآخر إلى اللجوء إلى ممارسات الأديان الأفريقية التقليدية، المخالفة للتعاليم المسيحية. فمشكلة ازدواج الانتماء إلى المسيحية وإلى الأديان الأفريقية التقليدية، ما زال يشكّل تحدّيا. بالنسبة إلى الكنيسة المقيمة في أفريقيا، لا بد من إرشاد الأفراد إلى اكتشاف القيَم الإنجيلية بكمالها، عن طريق تربية مسيحية وانثقاف عميقَين. كما ويجدر بنا تعيين المعاني العميقة لتلك الممارسات السحرية، لتحديد المداخلات اللاهوتية والاجتماعية والرعوية المهدَّدة بهذا الوبأ.

٢) الإسلام

٩٤ـ لقد ركّز آباء السينودس الانتباه على الواقع الإسلامي في القارة الأفريقية وتعقيداته. في بعض الدوَل يسود التفاهم والوفاق بين المسلمين والمسيحيين. في غيرها لمسيحيون المحلّيون لا يتمتّعون إلا بمواطنة من درجة

١٤٦ «في عصرنا»، إعلان حول علاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحية، ٢؛ راجع الاقتراح ١٣.

ثانية، والكاثوليك الأجانب، من رهبان وعلمانيين، يتعرّضون لصعوبات في الحصول على تأشيرات أو أذون إقامة. في غيرها، لم يتمّ بعد التمييز بما يكفي بين ما هو ديني وما هو سياسي. وأخيرا في دوَل أخرى يسود العداء. أناشد الكنيسة، أيّا كان وضعها، أن تلتزم باحترام «المسلمين الذين يعبدون الله الواحد، الحي القيوم، الرحمن القادر على كلّ شيء، خالق السماء والأرض، الذي كلّم الإنسان»[١٤٧]. إذا كنّا، نحن المؤمنين بالله بأجمعنا، نريد خدمة المصالحة والعدالة والسلام، علينا أن نعمل معا لاستبعاد سائر أشكال التمييز وعدم التسامح والتشدّد الطائفي. فالكنيسة لا تميّز في أنشطتها بين الأديان. فهي تساعد المحتاج، سواء كان مسيحيا أو مسلما أو وثنيا. إنها تشهد بذلك لمحبّة الله خالق الجميع، تشجّع أتباع الأديان الأخرى إلى التزام الاحترام والتقدير المتبادَل. أناشد الكنيسة أن تحصل، بواسطة حوار متأنٍّ مع المسلمين، على الاعتراف القانوني والعملي بحرّية العقيدة، بحيث يُتاح في أفريقيا لكل مواطن، لا الحق في اختيار حرّ لدينه[١٤٨] وممارسة عباداته فقط، بل والحقّ في حرّية الضمير أيضا[١٤٩]. فحرّية الأديان هي الطريق إلى السلام[١٥٠].

ج) أن نصير «ملح الأرض» و «نور العالم»

٩٥ـ رسالة الكنيسة المعلنة البشرى الإنجيلية في أفريقيا، تستقي من عدّة ينابيع: من الكتاب المقدّس، والتقليد وحياة الأسرار المقدّسة. كما لاحظ عدد كبير من آباء السينودس، خدمة الكنيسة تستند بفاعليّة إلى تعليم الكنيسة الكاثوليكية. أضف إلى ذلك أن مختصر تعليم الكنيسة الاجتماعي، دليل لرسالة الكنيسة، على غرار «أم ومعلّمة»، في العالم

١٤٧ المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني،»في عصرنا«، إعلان عن علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية ٣.

١٤٨ أنظر رسالة الختام، ٤١.

١٤٩ راجع الاقتراح ١٢.

١٥٠ أنظر بينيدكت السادس عشر، «رسالة يوم السلام العالمي ٢٠١١»؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠٣ (٢٠١١)، ٤٦-٥٨.

وفي المجتمع. ولنفس هذا السبب يشكّل وسيلة رعوية من الدرجة الأولى[١٥١]. المسيحي الذي يتغذّى من الينبوع الأصيل، المسيح، يتحوّل بواسطته إلى «نور العالم» (متى ٥، ١٤) وينقل من هو «نور العالم» (يوحنا ٨، ١٢). وينبغي أن يُنعش علمه بالمحبّة. ذلك إن المعرفة «إن شاءت أن تكون حكمة قادرة على توجيه الإنسان نحو نور المبادئ الأوّلية وغاياته القصوى، يجب أن ‹تُطيَّب› ‹بملح› المحبّة»[١٥٢].

٩٦ـ عسانا ـ لتنفيذ المهمّة المدعوون لتنفيذها ـ عسانا أن نتبنّى مناشدة القديس بولس نفسها: «إنهضوا إذن وشدّوا أحقاءكم بالحقّ، والبسوا درع البرّ، وأنعِلوا أقدامكم باستعداد إنجيل السلام . وفي كلّ حال خذوا مِجنّ الإيمان الذي به تقدرون أن تُطفئوا جميع سهام الشرير الناريّة. واتخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله. وصلّوا بكلّ صلاة ودعاء كلّ حين في الروح» (أفسس ٦، ١٤ـ١٨).

١٥١ راجع الاقتراح ١٨

١٥٢ بينيدكت السادس عشر، رسالة عامة «المحبة في الحق» (٢٩ يونيو ٢٠٠٩)، ٣٠؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٦٦٥.

الجزء الثاني

«يُعطى كلّ واحد إظهارَ الروح للمنفعة»

(١ كورنتس ١٢، ٧)

٩٧ـ هذه التوجيهات المتعلقة بالرسالة التي ذكرتها للتوّ، إنّما تتحوّل إلى واقع إذا عملت الكنيسة، من ناحية، على هدى الروح القدس، ومن ناحية أخرى، كجسد واحد، على حدّ قول القديس بولس، الذي يطرح هذين الشرطَين بشكل مفصّل. وفي الواقع، في أفريقيا التي تعاني من النزاعات، على الكنيسة أن تشير بوضوح إلى الطريق المؤدّية إلى المسيح. عليها أن تشرح كيف ينبغي أن نعيش، في الوفاء ليسوع المسيح، الوحدة في التنوّع، كما علّمنا الرسول: «إنّ للمواهب أنواعا لكنّ الروح واحد. وللخِدَم أنواعا لكنّ الربّ واحد. وللأعمال أنواعا لكنّ اللّهَ واحد، الذي يعمل الكلَّ في الكلّ. وإنما يُعطى كلُّ واحد إظهارَ الروح للمنفعة» (١ كورنتس ١٢، ٤ـ٧). وبمناشدتي كل عضو من أعضاء الأسرة الكنائسية أن يكون «ملح الأرض» و «نور العالم» (متى ٥، ١٣ـ١٤)، أعني حرصي على أن «يكون» هذا العمل بواسطة الروح للمنفعة العامة. لا يمكن قط أن يكون المسيحي معزولا. فعلى الأساقفة والكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات ومدرّسي التربية المسيحية والعلمانيين، أن يساهموا

بالمواهب التي ينالها كل واحد منهم من الرب ـ في الانسجام والشركة والسلام، في الكنيسة والمجتمع.

٩٨ـ نعرف جيّدا مشهد الرجل الذي جيء به إلى يسوع ليشفيه (أنظر مرقس ٢. ١ـ١٢). إن هذا الرجل. يرمز اليوم إلينا نحن جميعا، إخوة وأخوات أفريقيا والبلاد الأخرى، المصابين بالشلَل بأنواعه، و ـ ممّا يؤسف له ـ بإحباط عميق، في أحيان كثيرة. إزاء التحدّيات التي ذكرتها باختصار، وفقَ بيانات آباء السينودس، دعونا نتأمّل سلوك الذين حملوا المشلول. لم يتمكّن هو من الدنوّ من يسوع إلا بمساعدة هؤلاء الأشخاص الأربعة أصحاب الإيمان، الذين عرفوا كيف يتغلّبون على حاجز الجمهور المادّي. مثبتين تعاونهم وثقتهم المطلقة بيسوع. لقد «شاهد المسيح إيمانهم». لذلك رفع الحاجز الروحي بقوله للمشلول: «مغفورة لك خطاياك». لقد أزال ما كان يعوق الرجل عن الوقوف. هذا المثل يحرّضنا على النموّ في الإيمان لنُبدي، بدورنا، التعاون والإبداع لتعزية أولئك الذين يحملون أعباء ثقيلة، فينفتحوا بذلك على ملء الحياة في المسيح (راجع متى ١١، ٢٨). أمام الحواجز، مادّية كانت أو روحيّة، المنتصبة أمامنا، دعونا نعبّئ الطاقات الروحية والموارد المادّية في الجسد بأسره، أي الكنيسة، واثقين أن المسيح سيعمل بواسطة الروح القدس في كلّ واحد من الأعضاء.

الفصل الأوّل
أعضاء الكنيسة

٩٩ـ أبناء الكنيسة وبناتها الأعزّاء، وعلى رأسهم أنتم مؤمني أفريقيا الأحبّاء. لقد أغدق عليكم الله كلّ نوع من البركات، وجعلكم قادرين على العمل كملح الأرض. أنتم جميعا، كأعضاء الكنيسة، عليكم أن تدركوا أن السلام والعدالة ينبعان في المقام الأوّل من مصالحة الكائن الإنساني مع نفسه ومع الله. فالمسيح هو «ملك السلام» الحقيقي الوحيد. ومولده عربون السلام المسياني، كما بشّر به الأنبياء (أنظر أشعيا ٩، ٥ـ٦؛ ٥٧، ١٩؛ ميخا ٥، ٤؛ أفسس ٢، ١٤ـ١٧). هذا السلام لا يأتي من البشر بل من الله. إنه الهبة المسيانية العظمى. هذا السلام يقود إلى عدالة الملكوت التي يجب البحث عنها في وقت مناسب وغير مناسب في كلّ ما نعمل (راجع متى ٦، ٣٣)، ليتمجّد الله في كلّ حال (راجع متى ٥، ١٦). إلا إننا نعلم أن البار وفيّ للشريعة الإلهية لأنه اهتدى (أنظر لوقا ١٥، ٧؛ ١٨، ١٤). هذا الوفاء جاء به المسيح لنكون «بلا لوم وبلا عيب» (أنظر فيليبي ٢، ١٥).

أولا: الأساقفة

١٠٠ـ إخوتي الأساقفة الأعزّاء، القداسة المدعو إليها الأسقف، تتطلّب ممارسة الفضائل ـ وعلى رأسها الفضائل اللاهوتية ـ والوصايا الإنجيلية[١٥٣]. قداستكم الشخصية عليها أن تشعّ لمصلحة الذين عُهد بهم لعنايتكم الرعوية وعليكم أن تخدموهم. حياتكم في الصلاة ستروي من الباطن خدماتكم الرعوية. على الأسقف أن يكون مغرما بالمسيح. السلطة المعنوية والهيبة اللتان تساندان ممارستكم لسلطتكم الشرعية، لا يمكن أن ينبعا إلا من قداسة حياتكم.

١٥٣ راجع مجمع الأساقفة، «خلفاء الرسل»، دليل لخدمة الأساقفة الرعوية (٢٢ فبراير ٢٠٠٤)، ٣٣ـ٤٨؛ الدليل الفاتيكاني ٢٢، الأرقام ١٦٥٠ـ١٦٧٦.

١٠١ ـ إن الكنيسة ـ كما قال القديس كبريانوس في منتصف القرن الثالث في قرطاج «الكنيسة تستند على الأساقفة، وسيرتهم كلّها خاضعة لتوجيهات رؤسائها هؤلاء»[١٥٤]. إنماالشركة والوحدة والتعاون مع مجلس الكهنة، هو ذلك ما يلزم كترياق ضد بذور الانشقاق، وسيساعدكم على الوقوف كلكم معا للإصغاء إلى الروح القدس، الذي سيرشدكم إلى الطريق المستقيم (راجع المزمور ٢٢، ٣). أحبّوا كهنتكم واحترموهم! إنهم المعضدون الكرام في خدمتكم الرعوية الأسقفية. اقتدوا بالمسيح! لقد خلق من حوله مناخ صداقة وعاطفة أخوية وشركة، استقاها من أعماق سرّ الثالوث. «أناشدكم أن تدأبوا ببالغ الاهتمام على مساعدة كهنتكم ليعيشوا في وحدة حميمة مع المسيح. حياتهم الروحية أساس حياتهم الرسولية. لذلك حثّوهم برقّة على الصلاة اليومية والاحتفال الوقور بالأسرار المقدّسة، لا سيما سرّ الإفخارستيا وسرّ المصالحة، كما كان يفعل القديس فرانسوا دي سال مع كهنته. [...] يحتاج الكهنة إلى تعاطفكم وتشجيعكم ورعايتكم»[١٥٥].

١٠٢ـ كونوا متّحدين بخليفة بطرس، مع كهنتكم وجملة مؤمنيكم. لا تبذّروا طاقاتكم الإنسانية والرعوية في بحث لا جدوى فيه عن إجابات ليست من اختصاصكم المباشر، أو [تجدونها] في متاهات قوميّة قد تُعمي الأبصار . اتّباع هذا الصنم، كالصنم الآخر ـ أي نعت الثقافة الأفريقية بالمطلَقة ـ أسهل من اتّباع متطلّبات المسيح. هذه الأصنام أوهام. إنها أيضا تجربة، تجربة أن نفكّر أننا بقوانا البشرية وحدها بوسعنا أن نبلغ ملكوت السعادة الأبدية على الأرض!

١٠٣ـ أوّل واجباتكم هو أن تنقلوا بشرى الخلاص السعيدة وتقدّموا لمؤمنيكم تربية مسيحية تساهم في معرفة أعمق ليسوع المسيح. إحرصوا على تزويد العلمانيين بشعور حقيقي برسالتهم الكنائسية، وعلى مناشدتهم أن يحقّقوها بروح المسؤولية، ويسعوا دائما للخير

١٥٤ الرسالة ٣٣، ١؛ مجموعة الآباء اللاتين ٤، ٢٩٧.

١٥٥ بينيدكت السادس عشر، «خطاب لأساقفة فرنسا» (لورد، ١٤ سبتمبر ٢٠٠٨)؛ «تعاليم» ٢/٤ (٢٠٠٨)، ٣٢١.

العام. على برامج التكوين الدائم للعلمانيين، لا سيما الخاصّة بالمسؤولين السياسيين والاقتصاديين، أن تركّز على التوبة كشرط لا بدّ منه لتغيير العالم. يُحبّذ دائما الافتتاح بالصلاة والمتابعة بالتربية المسيحية التي تمهّد السبيل للعمل الجادّ. أما خلق الآليات فيتلو ذلك إذا دعا الأمر فعلا إلى ضرورتها، لأنها لا يُستعاض بها قط عن قوّة الصلاة.

١٠٤ـ إخوتي الأساقفة الأعزاء، اتّبعوا المسيح الراعي الصالح، كرعاة صالحين وخدّام للقطيع الموكَل إليكم، وقدوة بسيرتكم وسلوككم. إدارة أيبارشياتكم الجيّدة تتطلّب حضوركم. ولكي تحظى رسالتكم بالمصداقية، إعملوا على أن تصبح إيبارشياتكم نموذجا في سلوكيات الأشخاص وشفافية الإدارة المالية وجودتها. لا تخافوا من اللجوء إلى محاسبين مهرة وخبراء، لتقديم القدوة سواء للمؤمنين أو للمجتمع بأسره. عزّزوا آليات اجهزتكم الكنسية في الإيبارشيات والرعايا، كما هو وارد في القانون الكنسي. البحث عن الوحدة والعدالة والسلام، في المقام الأول، من اختصاصكم أنتم، لأنكم تحملون مسؤولية الكنائس الخاصة.

١٠٥ـ لقد ذكر السينودس أن «الكنيسة وحدة تخلق تضامنا رعويا منظّما. فالأساقفة، بالاتحاد مع أسقف روما، هم الروّاد الأوّلون للوحدة والتعاون في نشاط الكنيسة»[١٥٦]، من مهام هيئات الأساقفة القومية والإقليمية تأييد هذه الوحدة الكنائسية و تعزيز هذا التضامن الرعوري.

١٠٦ـ للمزيد من الوضوح والاتساق والفعالية في نشاط الكنيسة الرعوي الاجتماعي، لفت السينودس النظر إلى ضرورة عمل بالمزيد من التضامن على جميع الأصعدة. جدير بالهيئات الأسقفية الإقليمية والقومية، وكذلك بجمعية االرؤساء الكاثوليك في مصر أن يجدّدوا تعهّدهم بالتضامن الجماعي[١٥٧]. وهذا ينطوي من الناحية العملية على مشاركة ملموسة في أنشطة هذه الهيئات، سواء بالنسبة إلى الأشخاص أو إلى الوسائل المالية. فالكنيسة تشهد بذلك على الوحدة التي صلّى المسيح

١٥٦ الاقتراح ٣.
١٥٧ راجع الاقتراح ٤.

من أجلها] راجع يو ١٧، ٢٠ـ٢١).

١٠٧ـ كما أرى أنّه يُحبّذ أن يتعهّد الأساقفة في المقام الأول على تعزيز وتأييد ندوة مجالس أفريقيا ومدغشقر (S.C.E.A.M) تعزيزا فعليا وتعاطفيا، كتنظيم قارّي للتعاون والمشاركة الكنائسية[١٥٨]. كما لا يخلو من فائدة رعاية علاقات اتحاد هيئات أفريقيا ومدغشقر (C.O.S.M.A.M) وجمعيات الجامعات الكاثوليكية وتنظيمات كنائسية أخرى في القارّة.

ثانيا: الكهنة

١٠٨ـ ومهمّة الكهنة، بصفتهم المساعدين المقرّبين ومن لا يُستعاض عنهم للأسقف[١٥٩]، تسيير نشاط البشرى الأنجيلية. فجمعية السينودس الثانية لأفريقيا، عُقدت في أثناء السنة التي كنت قد كرّستها للكهنوت، مع إطلاق نداء خاص في سبيل القداسة. لا تنسوا، يا كهنتي الأعزّاء، أن شهادة سيرتكم الوديعة، بعيدا عن الحدود القبلية والعرقية، بوسعها أن تمسّ القلوب[١٦٠]. النداء في سبيل القداسة يدعونا إلى أن نصبح رعاة وفق قلب الله[١٦١]، يرعون قطيعهم بعدالة (راجع حزقيال ٣٤، ١٦). الاستسلام لتجربة تحوُّلكم إلى زعماء سياسيين[١٦٢] أو أباطرة اجتماعيين، قد يعني خيانة رسالتكم الكهنوتية وعدم خدمتكم مجتمعا ينتظر منكم أقوالا وأعمالا نبوية. قالها القديس كبريانوس: «الذين لهم شرف الكهنوت الإلهي [...] عليهم أن يقدّموا خدمتهم على المائدة وبالذبيحة لا غير، مكرّسين أنفسهم للصلاة فقط»[١٦٣].

---

١٥٨ راجع المرجع نفسه.
١٥٩ راجع الاقتراح ٣٩.
١٦٠ راجع رسالة الختام، رقم ٢٠.
١٦١ راجع الاقتراح ٣٩.
١٦٢ أنظر بينيدكت السادس عشر، «خُطبة للدائرة الرومانية» (٢١ ديسمبر ٢٠٠٩) أعمال الكرسي الرسولي ١٠٢ (٢٠١٠) ٣٥.
١٦٣ الرسالة ٦٦، ١؛ مجموعة الآباء اللاتين، ٤، ٣٩٨.

١٠٩ـ بتكريسكم في المقدّمة للذين ائتمنكم الله عليهم لتكوينهم على الفضائل المسيحية والبلوغ بهم إلى القداسة، لا تكسبونهم لقضية المسيح وحسب، بل تجعلون منهم أيضا روّاد مجتمع أفريقي متجدّد. إزاء الأوضاع المعقّدة التي تتحدّاكم، أدعوكم إلى التعمّق في حياة الصلاة والتكوين الدائم: عسى أن يتمّ ذلك سواء على الصعيد الشخصي أو الثقافي. عزّزوا الألفة بينكم وبين الكتاب المقدس، وكلمة الله، بتأمّلها كل يوم وشرحها للمؤمنين. تعمّقوا أيضا في اطّلاعكم على التعليم المسيحي ووثائق التعليم الكنسي، وكذلك على تعليم الكنيسة الاجتماعي. تصبحون بذلك بدوركم قادرين على تكوين أعضاء الكنيسة المسيحية المسؤولين عنها مسؤولية مباشرة، لكي تصبحوا تلاميذ مخلصين للمسيح وشهودا له.

١١٠ـ عيشوا ببساطة وتواضع ومحبة بنوية والطاعة لأسقف إيبارشيتكم. «احتراما لمن قبلَنا، علينا أن نطيع بلا رياء، لأننا لا نكذب على الأسقف المنظور، بل نكذب على غير المنظور. ولا نتحدّث عن الجسد بل عن الله الذي يعرف الأمور غير المنظورة»[١٦٤]. في إطار تكوين الكهنة الدائم، يبدو لي من المفيد العودة إلى بعض الوثائق وتأمّلها، كـ «درجة الكهنوت»، مرسوم المجمع حول خدمة الكهنة وسيرتهم؛ و «سأعطيكم رعاة»، أي الإرشاد الرسولي المنبثق عن المجمع سنة ١٩٩٢؛ أو «دليل خدمة الكهنة وسيرتهم» لسنة ١٩٩٤؛ أو التعليم «الكاهن، راعٍ ومرشد للجماعات الرعوية» لسنة ٢٠٠٢.

١١١ـ ابنوا الجماعات المسيحية بقدوتكم، بأداء مهامّكم الكهنوتية في الحق والفرح: البتولية في العفّة والتجرّد عن الخيرات المادّية. هذه الصفات المتناسبة بنوع خاص مع سلوك المسيح وسيرته، إذا ما عيشت بنضوج وصفاء، تعبّر عن «الهبة التامّة والحصرية للمسيح وللكنيسة وللملكوت الله»[١٦٥]. إعملوا جادّين في مجال العمل الرعوي الإيبارشي للمصالحة

١٦٤ القديس أغناطيوس الأنطكي، «إلى أهل مانيزيا»، ٣، ٢؛ نشرها فونك، ٢٣٣.

١٦٥ بينيدكت السادس عشر، «سرّ المحبّة»، إرشاد رسولي منبثق عن المجمع (٢٢ فبراير ٢٠٠٧)، ٢٤؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٩ (٢٠٠٧)، ١٢٥.

والعدالة والسلام، وفي المقام الأوّل بواسطة الاحتفال بسرّي التوبة والإفخارستيا، والتربية المسيحية، وتكوين العلمانيين وإرشاد المسؤولين عن المجتمع. على كلّ كاهن أن يتمكّن من الشعور بالسعادة لخدمته المسيح.

١١٢ـ اتّباع المسيح بمسيرة الكهنوت يقتضي خيارات، ليس من السهل عيشها. مقتضيات الإنجيل المصنّفة عبر الأجيال في التعليم الكنسي، تبدو في نظر العالم متشدّدة. العمل بها في بعض الأحيان صعب لكن غير مستحيل. المسيح علّمنا أنه لا يمكن أن نعبد سيّدَين (راجع متى ٦، ٢٤). إنه يعني بلا شكّ المال، ذلك الكنز الزمني الذي بوسعه أن يغزو قلوبنا (راجع لوقا ١٢، ٣٤)، لكنّه يعني أيضا عددا كبيرا من الخيرات الأخرى التي نمتلكها: حياتنا، أسرتنا، تربيتنا، علاقاتنا الشخصية، على سبيل المثال. إنها خيرات ثمينة ورائعة وتأسيسية لأشخاصنا. لكن المسيح يطلب من مدعويّه الاتكال التام على العناية. إنه يطلب خيارا جذريا (راجع متى ٧، ١٣ـ١٤)، صعب في بعض الأحيان فهمه وعيشه. لكن إذا كان الله كنزنا الحقيقي ـ الجوهرة النفيسة التي يجب اقتناؤها بأي ثمن، حتى ببذل تضحيات كبيرة (راجع متى ١٣، ٤٥ـ٤٦) ـ عندئذ سنرغب أن يكون قلبنا وجسدنا وروحنا وعقلنا له وحده. وفعل الإيمان هذا سيمكّننا من أن ننظر إلى ما يبدو لنا هامّا بنظرة مختلفة، وأن ندرك علاقتنا بجسدنا وعلاقاتنا الإنسانية مع الأقارب أو الأصدقاء على ضوء الدعوة الإلهية وما تقتضيه لخدمة الكنيسة. لا بدّ من التفكير بذلك تفكيرا عميقا. هذا التفكير ينبغي أن يبدأ في المعاهد الدينية، لمتابعته على مدى حياتنا الكهنوتية. المسيح يشجعنا لأنه عالم بقوى قلوبنا وعيوبها ويقول: «أطلبوا أوّلا ملكوت الله وبرّه وكلّ ذلك يُضاف لكم» (متى ٦، ٣٣).

ثالثا: المرسلون

١١٣ـ المرسلون غير الأفريقيين، جاؤوا للمشاركة في فرح الوحي، مستجيبين بسخاء وبغيرة رسولية شديدة لدعوة الرب. وعلى أثرهم نجد اليوم مرسلين أفريقيين في قارّات أخرى. في هذه الحال، كيف لا نقدّم لهم تحيّة خاصّة؟ المرسلون الذين قدِموا إلى أفريقيا ـ من كهنة ورهبان وراهبات وعلمانيين ـ بنوا كنائس ومدارس ومستوصفات، وساهموا بقوّة في تعريف الثقافات الأفريقية في وقتنا الحاضر. لكنهم في المقام الأوّل بنوا جسد المسيح وأثروا بيت الله. لقد عرفوا كيف يشاركون في تذوّق «ملح» الكلمة وإشعاع نور الأسرار المقدّسة. وفوق كلّ شيء، أعطوا أفريقيا أعزّ ما كانوا يملكونه: المسيح. وبفضلهم حُررت ثقافات تقليدية متعدّدة من مخاوف الأجداد ومن الأرواح النجسة (راجع متى ١٠، ١). ومن القمح الجيّد الذي بذروه (راجع متى ١٣، ٢٤) نبت عدد كبير من القديسين الأفريقيين، ما زالوا حتّى يومنا هذا نماذج ينبغي الاستلهام بها دون سواها، ويُحبّذ استئناف إكرامهم وتعزيزه. لقد حقّقوا أحيانا تعلّقهم بالإنجيل على وجه بطولي، حتّى التضحية بحياتهم. وتحقّق مرّة أخرى قول ترتوليان: «دم الشهداء بذور للمسيحيين»[١٦٦]. إني أشكر الله من أجل هؤلاء القدّيسين والقديسات، علامات حيوية الكنيسة في أفريقيا.

١١٤ـ أشجّع رعاة الكنائس الخاصة على تحديد من هو مؤهّل من خدام الإنجيل الأفارقة لأن يُرفع إلى مصاف القديسين، وفق القواعد الكنسية، لا لزيادة عدد القديسين الأفارقة فقط، بل ولتأمين شفعاء جدد في السماء، يهدون الكنيسة في غربتها الأرضية ويشفعون لدى الله للقارّة الأفريقية. أعهد بكنيسة أفريقيا إلى السيّدة عذراء أفريقيا وقدّيسي هذه القارّة العزيزة.

١٦٦ «كتاب الدفاع»، ٥٠، ١٣؛ مجموعة الآباء اللاتين ١، ٦٠٣.

رابعا: الشمامسة المرسومون

١١٥ـ عظمة الدعوة التي تلقّاها الشمامسة المرسومون تستحقّ الذكر. أدعوهم إلى العمل بتواضع وفي اتصال وثيق مع الأساقفة، مع الوفاء لرسالة تلقّوها منذ أجيال[١٦٧]. أطلب منهم بمودّة أن يتابعوا تقديم للشباب ما يعلّمنا المسيح في الإنجيل: جدّية العمل وإتقانه[١٦٨]، والشجاعة الأدبية في احترام القيَم، والاستقامة، والالتزام بالوعود، والسعادة في وضع حجر في بناء المجتمع والكنيسة، وحماية الطبيعة، والشعور بالخير العام. ساعدوا المجتمع الأفريقي في سائر هيئاته ليولي اعتباره لمسؤولية الرجال كأزواج وآباء ليحترموا المرأة المساوية للرجل في الكرامة، ويعتنوا بالأطفال المهملين وبلا تربية.

١١٦- لا يفتكم أن تولوا اهتماما خاصا لذوي الأمراض العقلية أو البدنية[١٦٩]، للضعفاء والفقراء من أبنائكم. عسى أن تُبدعوا في أعمالكم الخيرية! وفي نشاطكم الرعوي في الرعايا، لا تنسوا أن روحانية سليمة تسمح لروح المسيح أن يحرّر الإنسان لتُتاح له حرّية العمل في المجتمع. على الأساقفة أن يسهروا على تكميل تكوينكم ليساعدكم على ممارسة مواهبكم[١٧٠]. حاولوا، على مثال القديس إستيفانوس والقديس لورينسيوس والقديس منصور، الشمامسة والشهداء، أن تدركوا المسيح وتلتقوا به في الإفخارستيا وفي الفقراء. خدمتكم هذه على المذبح وبأعمال المحبّة، ستحبّب لكم اللقاء بالرب الحاضر على المذبح وفي الفقراء. عندئذ تصبحون مستعدّين لبذل حياتكم من أجله حتّى الموت.

---

١٦٧ انظر مجمع التربية الكاثوليكية، «قواعد أساسية لتكوين الشمامسة المرسومين» (٢٢ فبراير ١٩٩٨)، ٤٨؛ «الدليل الفاتيكاني» ١٧، رقم ١٦٧؛ مجمع الإكليروس، «دليل لخدمة الشمامسة المرسومين وسيرتهم» (٢٢ فبراير ١٩٩٨) ٦، ٨ و٤٨؛ «الدليل الفاتيكاني» ١٧، الأرقام ٢٩١، ٢٩٤ـ٢٩٧، ٣٧٦ـ٣٧٨.

١٦٨ راجع ورقة العمل، رقم ٨٩.

١٦٩ راجع الاقتراح ٥٠.

١٧٠ راجع الاقتراح ٤١

خامسا: الأشخاص المكرّسون

١١٧ـ لقد أصبحت حياة الأشخاص المكرّسين، بواسطة نذور العفّة والفقر والطاعة، أصبحت شهادة نبوية. إنّهم بوضعهم هذا بوسعهم أن يشكّلوا نماذج في مجال المصالحة والعدالة والسلام، كما وفي الظروف شديدة التوتّر[١٧١]. الحياة الجماعية تثبت أنه من الممكن أن نعيش كإخوة وأخوات وأن نكون متّحدين، حتى وان كانت الأصول الإتنية والعرقية مختلفة (راجع المزمور ١٣٣، ١). ويمكن ويجب أن تُظهر وتُشعر أن أتباع يسوع المسيح اليوم في أفريقيا يجدون فيه سرّ بهجة الحياة معا: المحبة المتبادلة، والمشاركة الأخوية تدعمهما يوميّا الإفخارستيا وليترجية السواعي.

١١٨ـ عسى أن تداوموا، أعزّائي المكرّسين، على عيش موهبتكم حقّا بغيرة رسولية في المجالات المختلفة التي دلّكم عليها مؤسّسوكم! ستبذلون بذلك المزيد من العناية للحفاظ على مصابيحكم مشتعلة! لقد أراد مؤسّسوكم أن يتبعوا المسيح في الحقّ، مستجيبين لندائه. والثمار المختلفة الناتجة عن ذلك هي بمثابة جواهر تزدان بها الكنيسة[١٧٢]. ينبغي إذن تنميتها، باتباع موهبة المؤسّس وأفكاره ومشاريعه بفائق الأمانة. أودّ أن أؤكّد هنا الدور الهام للاشخاص المكرسين في الحياة الكنائسية والإرسالية. إنّهم من المساعدين المتميّزين ولا بدّ منهم في النشاط الرعوي، لكنهم أيضا وجه من وجوه الطبيعة الحميمة للدعوة المسيحية[١٧٣]. ولذلك أدعوكم، أيها الأشخاص المكرّسون، أن تمكثوا في شركة وثيقة مع كنيستكم الخاصّة والمسؤول الأول عنها، الاسقف. أدعوكم أيضا إلى تقوية أوصر وحدتكم مع أسقف روما.

١١٩ـ افريقيا هي مهد حياة التعبّد المسيحي. لم تزل حاضرة في أفريقيا الشمالية ولا سيما في مصر والحبشة، وقد مدّت جذورها في هذا القرن

١٧١ راجع الاقتراح ٤٢.
١٧٢ راجع المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، دستور عقائدي عن الكنيسة «نور الأمم» ٤٦؛
١٧٣ راجع نفس المرجع عن نشاط الكنيسة الإرسالي «إلى الأمم»، ١٨.

الأخير إلى أفريقيا الصحراوية جنوبا . إنّ الرب يبارك الرجال والنساء الذين قرّروا أن يتبعوه بلا شروط! حياته الخفيّة بمثابة خميرة في العجين. صلاتهم الدائمة سند للأساقفة والكهن وغيرهم من الأشخاص المكرّسين، ومعلّي التعليم المسيحي والكنيسة بأسرها، في مجهودهم الرسولي.

١٢٠ـ اللقاءات المختلفة بين الهيئات القومية لكبار الرؤساء و هيئات كبار الرؤساء في أفريقيا ومدغشقر (C.O.S.M.A.M) فرصة لتوحيد الأفكار والطاقات (لا لتأكيد أهداف كل من هذه المؤسّسات فقط، وطابعها وروحانيتها الخاصة، بل ولدراسة قضايا مشتركة في جو من الأخوّة والتضامن. يُحبّذ أيضا تعزيز الروح الكنائسية وتأمين تنسيق سليم وتعاون عادل بين هيئات الأساقفة.

سادسا: تلاميذ المعاهد الدينية

١٢١ـ لقد أولى آباء السينودس اهتماماً خاصا بتلاميذ المعاهد الدينية. لم يهملوا التكوين اللاهوتي والروحي الذي من البديهي أن يحظى بالأوّلية، لكنّهم أكّدوا أهمّية النمو النفساني والإنساني لدى كل من المرشّحين. على كهنة المستقبل أن ينمّوا في أذهانهم فهما عادلا لثقافاتهم الخاصّة من غير الانطواء على حدودهم الإتنية والثقافية[١٧٤]. عليهم أيضا أن يتعمّقوا في القيَم الإنجيلية لدعم التزامهم في الأمانة والوفاء نحو المسيح. خصب رسالتهم في المستقبل ستتعلّق إلى حدّ بعيد باتحادهم العميق بالمسيح، وجودة حياة الصلاة والحياة الروحية، وما استوعبوه من قيَم إنسانية وروحية ومعنوية في أثناء تكوينهم. عسى أن يصبح كل واحد منهم رجل الله، يبحث عن «العدالة والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة ويعيشها» (١ تيموتاوس ٦، ١١)!

١٢٢ـ «على تلاميذ المعاهد الدينية أن يتلقّنوا الحياة الجماعية بحيث تصبح حياة الأخوة بينهم، بالتالي، مصدر خبرة أصيلة عن الكهنوت

١٧٤ راجع الاقتراح ٤٠.

كأخوّة كهنوتية حميمة[١٧٥]. على المدراء والمكوّنين أن يعملوا معا وفق تعليمات الأساقفة، لتأمين تكون متكامل للتلاميذ المعهود به إليهم. عند اختيار المرشّحين سينبغي مباشرة تمييز دقيق وإرشاد جادّ لكي يكون المقبولون للكهنوت تلاميذ حقيقيين للمسيح وخدّاما مخلصين للكنيسة. لا بدّ من الحرص على تلقينهم ثروات التراث الكتابي الوافر، من لاهوت وروحانيات وليترجية ولاهوت أدبي وقانون كنسي.

١٢٣ـ لقد وجهت رسالة لتلاميذ المعاهد الدينية تلت سنة الكهنوت التي اختُتمت في شهر يونيو[١٧٦] ٢٠١٠. أكّدت فيها على هويّة الكاهن وروحانيته ونشاطه الرسولي. احث كل طالب أن يقرأ ويتأمّل هذه الوثيقة الوجيزة، الموجّهة إليه شخصيا وعلى المكوّنين أن يضعوها تحت تصرّفه. فالمعهد فترة استعداد للكهنوت، وفترة دراسة. إنه فترة تمييز وتكوين ونضوج إنساني وروحي. عسى أن يُتاح للطلاب أن يستخدموا بذكاء هذه الفترة المتاحة لهم لتخزين تراث روحي وإنساني يستقون منه على مدى حياتهم الكهنوتية.

١٢٤ـ طلابي الأعزّاء كونوا رسلا لدى شبان جيلكم وادعوهم إلى اتباع المسيح بالحياة الكهنوتية. لا تخافوا! صلاة عدد كبير من الناس ترافقكم وتساندكم (أنظر متى ٩، ٣٧ـ٣٨).

سابعا: مدرّسو التعليم المسيحي

١٢٥ـ مدرّسو التعليم المسيحي مساعدون مرموقون في المجال الرعوي وفي رسالة الكرازة بالإنجيل. لقد قاموا بدور هام جدا في بداية الكرازة الإنجيلية وفي إرشاد الموعوظين وإحياء الجماعة ومساندتها. «لقد صنعوا ببساطة انثقافا ناجحا أثمر ثمارا رائعة (راجع مرقس ٤، ٢٠). إنّما مدرسو التعليم المسيحي هم الذين أتاحوا "للنور أن يضيء للناس" (متى ٥، ١٦)، لأن شعوبا

١٧٥ نفس المرجع.

١٧٦ راجع «رسالة إلى تلاميذ المعاهد الدينية» (١٨ أكتوبر ٢٠١٠)؛ لوسرفاتوري رومانو (١٨١٩ أكتوبر ٢٠١٠)، ص. ١٢.

كاملة عندما شاهدوا ما يعملونه من خير استطاعوا أن يمجّدوا أبانا الذي في السماوات. فالأفريقيون هم الذين بشروا بالإنجيل للأفريقيين»[١٧٧]. هذا الدور الهام في الماضي، ما زال جوهريا بالنسبة إلى حاضر الكنيسة ومستقبلها. فأشكرهم لحبّهم الكنيسة.

١٢٦ـ أناشد الأساقفة والكهنة أن يُعنوا بالتكوين الإنساني والذهني والعقائدي والأخلاقي والروحي والرعوي لمدرّسي التعليم المسيحي، ويحرصوا جدّيا على أوضاعهم المعيشية، حفاظا لكرامتهم. لا ننس احتياجاتهم المادّية المشروعة[١٧٨]، لأن العامل الأمين في كرم الرب يستحقّ أجرا عادلا (راجع متى ٢٠، ١ـ١٦)، ريثما يعطيه الرب أجره المناسب، لأنه هو وحده العادل ويعرف القلوب.

١٢٧ـ أعزائي مدرّسي التعليم المسيحي لا تنسوا أنكم بالنسبة إلى عدد كبير من الناس أنتم تمثّلون الوجه الحقيقي والمباشر للتلميذ الغيور ولنموزج الحياة المسيحية. اشجعكم لتعلنوا بقدوتكم أن حياة الأسرة تستحقّ الاعتبار كل الاعتبار، وأن التربية المسيحية تعدّ الأبناء ليصبحوا في المجتمع صالحين وموضوع ثقة في علاقاتهم مع الآخرين. استقبلوا الجميع من غير تمييز: الفقراء والأغنياء المواطنين والغرباء، الكاثوليك وغير الكاثوليك (راجع يعقوب ٢، ١). لا تمالئوا أحدا (راجع أعمال ١٠، ٣٤؛ روميه ٢، ١١؛ غلاطيه ٢، ٦؛ أفسس ٦، ٩). إذا استوعبتم الكتاب المقدّس وتعاليم الكنيسة، ستستطيعون أن تؤدّوا تعليما مسيحيا متماسكا، وحّيوا مجموعات صلاة وتقدّموا «القراءة الإلهية (LECTIO DIVINA)» للجماعات المكلّفين بها. عندئذ يصبح عملكم متّسقا ودائما ومصدر إلهام. أحييكم مستعيدا بالشكر ذكرى أسلافكم المجيدة، وأشجّعكم لتعملوا اليوم أيضا بنفس التفاني ونفس الشجاعة الرسولية ونفس الإيمان. وإذا حاولتم أن تكونوا أمناء على رسالتكم، ستساهمون

١٧٧ بينيديكت السادس عشر «خطبة للمجلس الخاص بأفريقيا في سينودس الأساقفة» (ياوندي، ١٩ مارس ٢٠٠٩)؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٣١١ـ٣١٢.

١٧٨ راجع الاقتراح ٤٤؛ يوحنا بولس الثاني، «الكنيسة في أفريقيا»، إرشاد رسولي منبثق عن المجمع (١٤ سبتمبر ١٩٩٥)، ٩١؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨٨ (١٩٩٦)، ٥٧.

مساهمة فعّالة، لا في قداستكم الشخصية فقط، بل و في بناء جسد المسيح السري أيضا، أي الكنيسة.

ثامنا: العلمانيون

١٢٨ـ الكنيسة تُثيبت حضورها ونشاطها في حياة العالم عن طريق أعضائها العلمانيين. على العلمانيين أن يؤدّوا دورا هامّا في الكنيسة وفي المجتمع. ولكي يتعهّدوا كما يجب بأداء هذا الدور، ينبغي أن تُنظّم في الإيبارشيات مدارس أو مراكز للتكوين الكتابي والروحي والطقسي والرعوي. آمل من كلّ قلبي للعلمانيين الذين على عاتقهم مسؤوليات على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، أن يتزوّدوا باطلاع جادّ على تعليم الكنيسة الاجتماعي الذي يحتوي مبادئ عملية متّفقة مع الإنجيل. ذلك إن العلمانيين المؤمنين «سفراء المسيح (٢ كورنتس ٥، ٢٠)، أمام الجماهير، في وسط العالم[١٧٩]. وشهادتهم المسيحية إنمّا لها مصداقية إذا تحلّوا بالحرفة والنزاهة في اختصاصاتهم.

١٢٩ـ فالعلمانيون، رجالا ونساء، مدعوون في المقام الأوّل إلى القداسة وإلى أن يعيشوا هذه القداسة في العالم. أعزّائي المؤمنين، اعتنوا بدقّة بحياتكم الروحية وبعلاقتكم بالله، لكي ينوّركم الروح القدس في سائر الظروف.لكي يحتلّ الشخص الإنساني والخير العام فعلا المكانة الاولى في النشاط الانساني، اتّحدوا بالمسيح اتحادا عميقا لتعرفوه وتحبّوه بتكريس أوقات لله في الصلاة وبممارسة الأسرار المقدّسة. دعوا الله ينوّركم ويعلّمكم بكلمته.

١٣٠ـ اود ان اؤكد على ميزة الحياة المهنية للمسيحي، باختصار الموضوع متعلّق بالشهادة للمسيح في العالم، لنثبت بالقدوة أن العمل يمكن أن يشكّل فرصة سانحة وإيجابية لتحقيق الذات، وأنه ليس في المقام الاول وسيلة للربح. يمكنكم العمل من المشاركة في عملية الخلق ومن تقديم

١٧٩ أنظر يوحنا بولس الثاني، «المؤمنون العلمانيون»، إرشاد رسولي منبثق عن السينودس (٣٠ ديسمبر ١٩٨٨)، ١٥، ١٧؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨١ (١٩٨٩)، ٤١٣ـ٤١٦ و٤١٨ـ٤٢١.

خدماتكم للإخوة والأخوات. بعملكم هذا، تصبحون «ملح الأرض ونور العالم»، كما يطلب منكم الرب. في حياتكم اليومية، أعطوا الأفضلية للفقراء، بروح التطويبات أيا كان وضعكم في المجتمع (راجع متى ٥، ٣ـ١٢). لتروا فيهم وجه يسوع المتجسّد يدعوكم لخدمته (راجع متى ٢٥، ٣١ـ٤٦).

١٣١ـ قد يفيدكم أن تنتظموا في جمعيات لتكميل وتكوين وعيكم المسيحي ولكي يساند بعضكم بعضا في الكفاح من أجل العدالة والسلام. «الجماعات الكنائسية الحيّة» (CEV) أو «الجماعات المسيحية المصغّرة» (SCC) و «الجماعات الجديدة»[١٨٠]، بنيات أساسية لتغذية شعلة معموديتكم الحيّة. استثمروا أيضا مهاراتكم فإحياء الجامعات الكاثوليكية التي ما زالت في ازدهار، بعد توصيت الإشاد الرسولي «الكنيسة في أفريقيا»[١٨١]. في ودّي أيضا أن أشجّعكم على إثبات حضوركم النشيط والشجاع في عالم السياسة والثقافة والفنون ووسائل لإعلام والجمعيات المختلفة. عسى أن يكون هذا الحضور خاليا من عقد النقص أو الخجل، وفخورا ومدركا للتعاون المرموق الذي بوسعه أن يقدّمه للخير العام.

١٨٠ راجع الاقتراح ٣٧.
١٨١ رقم ١٠٣؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨٨ (١٩٩٦)، ٦٢ـ٦٣.

الفصل الثاني
أهم مجالات العمل الرسولي

١٣٢ـ لقد سلّمنا الرب رسالة خاصّة ولم يتركنا بلا وسائل لتحقيقها. لم يكتف بأن منح كل واحد منا مواهب شخصية لبناء جسده أي الكنيسة، بل منح أيضا الجماعة الكنائسية بجملتها مواهب خاصّة لتُتاح لها متابعة رسالتها. وأعظم موهبة هو الروح القدس. إنّما بفضله نشكّل نحن جسدا واحدا «وبقوّة الروح القدس وحده بوسعنا أن نجد ما هو مستقيم لتحقيقه»[١٨٢]. الوسائل لا بدّ منها لكي يُتاح لنا العمل، لكنّها لا تكفي إذا لم يكن الله نفسه هو الذي يمهّد لنا للتعاون مع عمل مصالحته، بواسطة «قدراتنا على التفكير والقول والشعور والعمل»[١٨٣]. إنّما بفضل الروح القدس نحن نصبح حقّا «ملح الأرض» و «نور العالم» (متى ٥، ١٣. ١٤).

أوّلا: الكنيسة كحضور المسيح

١٣٣ـ الكنيسة «في المسيح»، بمثابة سرّ أي علامة ووسيلة للاتحاد الحميم مع الله ولوحدة الجنس البشري برمّته[١٨٤]. وبصفتنا جماعة لتلاميذ المسيح، بوسعنا أن ننقل محبّة الله و نجعلها منظورة. فالمحبّة «نور ـ وفي آخر المطاف النور الوحيد ـ الذي يضيء دوما من جديد عالما مظلما ويدفعنا إلى الحياة والعمل»[١٨٥]. هذه الحقيقة تصبح منظورة

١٨٢ بينيدكت السادس عشر، «الجمعية الثانية الخاصة بأفريقيا في سينودس الأساقفة، تأمّل في أثناء الساعة الثالثة» (٥ أكتوبر ٢٠٠٩). أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٩٢٠.

١٨٣ المرجع نفسه.

١٨٤ راجع المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، دستور عقائدي عن الكنيسة «نور الأمم» ١؛

١٨٥ بينيدكت السادس عشر، رسالة عامّة «الله محبّة» (٢٥ ديسمبر ٢٠٠٥)، ٣٩؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٨ (٢٠٠٦)، ٢٥٠.

في الكنيسة الجامعة وفي كنيسة الإيبارشية والرعية وفي[186] CEV SCC وفي الحركات والجمعيات وحتى في الأسرة المسيحية «المدعوّة إلى أن تصبح "كنيسة منزلية"، أي موئل إيمان وصلاة وغيرة حميمة للخير الحقيقي والدائم لكل واحد من أعضائها»[187]. وجماعة تُعاش فيها علامة السلام[188]. بوسع CEV SCC الحركات والجمعيات أن تصبح مواقع مناسبة في نطاق الرعايا لاستقبال وعيش نعمة المصالحة التي يهبها المسيح، سلامنا. كل من أعضاء الجماعة عليه أن يصبح حارسا للآخر: وهذا أحد معاني تبادل السلام عند الاحتفال بالإفخارستيا[189].

ثانيا: عالم التربية

١٣٤ـ المدارس الكاثوليكية من الآليات المرموقة لتلقين ونسج روابط سلام ووئام في المجتمع، منذ الطفولة، بواسطة التربية على القيَم الأفريقية المقتبسَة من قيَم الإنجيل. أشجّع الأساقفة ومؤسّسات الأشخاص المكرّسين على العمل على أن يتمكّن الأطفال في السنّ المدرسية من التردد على المدرسة: إنها قضيّة عدالة لجميع الأطفال وبالأحرى يتعلّق بها مستقبل أفريقيا. فالمسيحيون، ولا سيما الشبان منهم، ينبغي أن يُقبلوا على علوم التربية لكي ينقلوا علوما مفعمة بالحقيقة، علوم سيرة وعمل نابعة عن ضمير مسيحي تشكّل على ضوء تعليم الكنيسة الاجتماعي. قد تدعو الحاجة أيضا إلى العمل على تأمين مكافأة عادلة للناشطين في مؤسّسات الكنيسة التربوية وإلى جملة العاملين في الهيئات الكنائسية دعما لمصداقية الكنيسة.

١٣٥ـ في السياق الراهن المتميّز باختلاط ملحوظ بين الشعوب والثقافات والأديان، دور الجامعات والمنشآت الأكاديمية الكاثوليكية جوهري، في سبيل

١٨٦ راجع الاقتراح ٣٥.

١٨٧ بينيدكت السادس عشر، «عظة في الناصرة» (١٤ مايو ٢٠٠٩)؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٤٨٠.

١٨٨ راجع له أيضا، «سرّ المحبّة»، إرشاد رسولي منبثق عن السينودس (٢٢ فبراير ٢٠٠٧)، ٤٩؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٩ (٢٠٠٧)، ١٤٣.

١٨٩ راجع الاقتراح ٣٦.

بحث دؤوب ودقيق ومتواضع عن النور المنبثق عن الحق. إنما الحقيقة التي تفوق قدر الإنسان المقيّد بالحدود، هي التي تنشر السلام بين الأفراد وتصالح المجتمعات فيما بينها. يُحبّذ لهذا الغرض تأسيس جامعات كاثوليكية جديدة حيث لا وجود لها حتى الساعة. إخوتي وأخواتي الأعزّاء، العاملين في الجامعات والمنشآت الأكاديمية الكاثوليكية، على عاتقكم، من ناحية، تربية عقول الأجيال الصاعدة وقلوبهم على نور الإنجيل، ومن ناحية أخرى مساعدة المجتمعات الأفريقية على استيعاب أفضل للتحدّيات التي تواجه أفريقيا اليوم، بإتاحة النور اللازم بدراساتكم وأبحاثكم.

١٣٦ـ المهمّة التي يسندها الإرشاد الرسولي «الكنيسة في أفريقيا» إلى المنشآت الكاثوليكية الجامعية ما زالت محتفظة بكلّ واقعيّتها. كما كتب فيه سلفي سعيد الذكر: «الجامعات والمعاهد الكاثوليكية العليا في أفريقيا، تقوم بدور هام في إعلان كلمة الله الخلاصية. إنها علامة نموّ للكنيسة، من حيث تشمل في أبحاثها حقائق الإيمان وخبراته وتساعد على روحنتها. مراكز الدراسات هذه تقدّم بذلك خدماتها للكنيسة، بتوفير الأشخاص المؤهّلين، ودراسة المسائل اللاهوتية والاجتماعية الهامّة، وتطوير لاهوت أفريقي، وتعزيز عمل الانثقاف [...]؛ ونشر الكتب وترويج الفكر الكاثوليكي؛ ومباشرة الأبحاث المكلّفين بها من قبَل الأساقفة، والمساهمة في دراسة الثقافات دراسة علمية [...]. المراكز الثقافية الكاثوليكية توفّر للكنيسة إمكانيات فذّة في الحشور والعمل في مجال التقلّبات الثاقافية. إنها في الواقع تشكّل «منتديات» عامّة تتيح انتشارا واسعا، عن طريق الحوار المبدع والقناعات المسيحية عن الإنسان والمرأة والأسرة والعمل والاقتصاد والمجتمع والسياسة والأحداث الدولية والبيئة. فهي بذلك مواقع إصغاء واحترام وتسامح»[١٩٠]. على الأساقفة أن يسهروا لتحافظ هذه المنشآت الجامعية على طبيعتها الكاثوليكية، وتتبنّى على الدوام اتجاهات مخلصة لتعليم الكنيسة الاجتماعي.

١٣٧ـ توفيرا لمساهمة جادّة وقيّمة للمجتمع الأفريقي، لا بدّ من تكوين الطلاب على تعليم الكنيسة الاجتماعي. وهذا سيساعد الكنيسة في

١٩٠ راجع رقم ١٠٣؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨٨ (١٩٩٦)، ٦٢ـ٦٣.

أفريقيا لكي تعدّ مطمئنة نشاطا رعويا يبلغ الوجدان الأفريقي ويصالحه مع ذاته باتحاده مع المسيح. ومن واجب الأساقفة، مرّة أخرى، مساندة رعاية الأذهان والعقول التي تخلق ملكة الحوار المنطقي والبحث النقدي في المجتمع والكنيسة. لقد سبق لي وقلت في ياوندي: «قد يسمح هذا القرن، بنعمته تعالى، بالعودة إلى الحياة في قارّتكم، لكن بالتأكيد بشكل مختلف وجديد، بعودة مدرسة الإسكندرية الساحرة. لمَ لا نأمل أن تتمكّن بأن توفّر لأفريقيي اليوم وللكنيسة الجامعة لاهوتيين لامعين ومعلّمين روحيين قد يساهمون في تقديس سكّان هذه القارّة والكنيسة بأكملها؟»[191]

١٣٨ـ جدير بالأساقفة أن يساندوا مراكز رعائية في داخل الجامعات ومنشآت الكنيسة التربوية، ويوفّروا مثلها في المنشآت التربوية العامّة، يكون المصلّى بمثابة القلب لها، ويتيح للطالب أن يلتقي بالله ويمكث تحت نظره. كما يتيح للكاهن المناوب، الذي ينبغي اختياره بدقّة لفضائله الكهنوتية، أن يمارس خدمته الرعوية والتعليمية والروحية.

ثالثا: عالم الصحة

١٣٩ـ لقد حرصت الكنيسة في كل زمان على الصحّة. والقدوة متّخذة من المسيح نفسه الذي بعد إعلان الكلمة وشفاء المرضى، كلّف تلاميذه بنفس السلطان، ليشفوا «كل مرض وكلّ علّة» (متى ١٠، ١؛ راجع ١٤، ٣٥؛ مرقس ١، ٣٢٣ و٣٤؛ ٦، ١٣ و٥٥). نفس هذه الرعاية للمرضى، ما زالت الكنيسة تمارسها مع المتألّمين بمنشآتها الصحّية. فالكنيسة، كما أكّد آباء السينودس، ملتزمة جدّيا بمكافحة العلَل والأمراض والأوبئة الفتّاكة[192].

---

١٩١ بينيديكت السادس عشر »خطبة للمجلس الخاص بأفريقيا في سينودس الأساقفة« (ياوندي، ١٩ مارس ٢٠٠٩)؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٣١٢.

١٩٢ راجع رسالة الختام، ٣١.

١٤٢ـ منشآت الكنيسة الصحّية وسائر العاملين فيها بصفاتهم المختلفة، عليهم أن يبذلوا جهدهم ليروا في المريض عضوا متألّما من أعضاء جسد المسيح. صعوبات من كلّ نوع تعترض مسيرتكم: عدد المرضى المتفاقم، شحّ الوسائل المادّية والاقتصادية، تراجع المنظّمات التي تهجركم بعد أن ساندتكم مدّة طويلة، كل ذلك يجعلكم أحيانا تشعرون وكأنكم تعملون بلا نتائج ملموسة. أعزائي العاملين في قطاع الصحّة، كونوا ناقلين لمحبّة يسوع وحنانه إلى المتألّمين! عليكم بالصبر والقوّة والشجاعة! وفي ما يتعلّق بالأوبئة، لا بدّ من الوسائل الاقتصادية والمادّية، لكن اسعوا أيضا بلا كلَل لتعليم الشعوب وتكوينهم وفي مقدّمتهم الشبيبة[١٩٣].

١٤١ـ ينبغي إدارة المنشآت الصحّية وفق قواعد الكنيسة الأخلاقية، مع تأمين الخدمات بالملاءَمة مع تعاليمها ولمصلحة الحياة لا غير. لا ينبغي أن تتحوّل إلى مصادر إثراء للخاصّة. إدارة الأموال المتاحة يجب أن تُعتبَر فيها الشفافية وتُستخدم في المقام الأوّل لخير المريض. وأخيرا كل منشأة صحّية يجب أن تضمّ مصلّى يذكّر وحدة العاملين (الإدارة والموظفين والأطبّاء والممرضين...) والمرضى أن الله وحده رب الحياة والموت. في نفس الوقت لا بدّ ـ قدر المستطاع ـ من مضاعفة المستوصفات التي تؤمّن الرعاية المحلّية والإسعافات الأوّلية.

رابعا: عالم الإعلام والاتصالات

١٤٢ـ الإرشاد الرسولي «الكنيسة في أفريقيا» لم يكن يعتبر وسائل الإعلام مجرّد معدّات للاتصال، بل وللبشرى الإنجيلية في العالم[١٩٤]. على هذه الوسائل أن تقدّم إعلاما أصيلا ـ وهو أمر يحظى بالأوّلية في أفريقيا ـ لأنّها تشكّل ألية هامّة لنموّ القارّة[١٩٥]، وللبشرى الإنجيلية. من شأن

١٩٣ نفس المرجع.

١٩٤ راجع يوحنا بولس الثاني، «الكنيسة في أفريقيا»، إرشاد رسولي منبثق عن السينودس (١٤ سبتمبر ١٩٩٥) ١٢٤. أعمال الكرسي الرسولي ٨٨ (١٩٩٦) ٧٢ـ٧٣.

١٩٥ راجع الاقتراح ٥٦.

«وسائل الإعلام أن توفّر مساعدة ملموسة لتعزيز وحدة الأسرة البشرية و"أخلاقيات" المجتمع، عندما تصبح وسائل تنمية للمشاركة الشاملة في البحث العام عما هو عادل»[١٩٦].

١٤٣ـ كلّنا نعلم أن تكنولوجيا الإعلام الجديدة بوسعها أن تصبح وسيلة جبّارة للتضامن والسلام، أو عاملا فعّالا للهدم والانقسام أيضا. بوسعها أن تفيد أو تُسيء على الصعيد الأخلاقي، ونشر ما هو حقيقي وما هو كاذب، وعرض ما هو قبيح وما هو جميل. الكم من الأخبار والأخبار المضادة، وكذلك الكم من الصور يمكن أن يكون مفيدا، كما ويمكن أن يؤدّي إلى تلاعب خطير. من السهل جدا أن يصبح الخبر خبرا مضلّلا. والتكوين تشويها. وسائل الإعلام بوسعها أن تعزّز أنسنة أصيلة لكن يمكن في نفس الوقت أن تنطوي على التجريد من الإنسانية.

١٤٤ـ يتجنّب الإعلام هذه العقبة إذا «نُظّم ووُجّه على ضوء تصوّر للإنسان والخير العام يعكس قيَمهما الشمولية. وسائل الإعلام الاجتماعي لا تعزّز الحرّية ولا تعَولم النموّ والديمقراطية للجميع، لا لشيء إلا لأنها تضاعف إمكانيات تبادل الأفكار وتواصلها. لتحقيق مثل هذه الأهداف لا بدّ من أن تركّز على تعزيز كرامة الأفراد والشعوب، وتنتعش بصراحة بالمحبة، وتوضع في خدمة الحقيقة وخير الأخوّة الطبيعية وفائقة الطبيعة»[١٩٧].

١٤٥ـ ينبغي أن تكثّف الكنيسة حضورها في الإعلام، لجعله لا مجرّد آلية لنشر الإنجيل، بل ووسيلة مفيدة لتكوين الشعوب الأفريقية على المصالحة في الحقّ، وعلى تعزيز العدالة في السلام. لذلك تكوين جادّ للصحفيين على أخلاقيات الحقيقة واحترامها، سيساعدهم على تجنّب إغراء المثير، وكذلك إغراء التلاعب بالأخبار والكسب المريح. لا ينبغي أن يخاف الصحفيون المسيحيون من إظهار إيمانهم. بل عسى أن يفتخروا به. يُحبّذ أيضا تشجيع حضور نشاط المؤمنين العلمانيين المؤهّلين في عالم الاتصالات العامة والخاصة. وعلى مثال الخميرة في العجين، ليتابعوا تقديم

١٩٦ بينيدكت السادس عشر،، رسالة عامّة «المحبّة في الحقّ» (٢٩ يونيو ٢٠٠٩)، ٧٣؛ أعمال الكرسي الرسولي ٧٠٥. (٢٠٠٩)، ٦٨٧.

١٩٧ المرجع نفسه، ٧٣؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٧٠٤ـ٧٠٥.

شهادتهم عما توفّره تعاليم المسيح والكنيسة للعالم من مساهمة إيجابية وبنّاءة.

١٤٦ـ أضف إلى ذلك أن خيار الجمعية الأولى الخاصّة بأفريقيا، أن تعتبر الإعلام بمثابة عنصر محوري بالنسبة للبشرى الإنجيلية، ثبت أنه خيار مفيد لتطوّر الإعلام الكاثوليكي. وربما ينبغي أيضا تنسيق الآليات المتوفّرة، كما هي الحال في بعض الأماكن. تحسين استخدام وسائل الإعلام الاجتماعي بهذه الطريقة سيساهم في المزيد من تعزيز القيَم التي تبنّاها السينودس: السلام والعدالة والمصالحة في أفريقيا[١٩٨]، ويتيح لهذه القارّة أن تشارك في النمو العالمي الراهن.

١٩٨ راجع الاقتراح ٥٦.

الفصل الثالث
«قم فاحمل سريرك وامشي» (يو ٥:٨)

اولا: تعليم يسوع في بركة حسدا

١٤٧ـ إخوتي الأساقفة الأعزّاء، أبناء وبنات أفريقيا، بعد عرض أهم الأنشطة وبعض الوسائل التي اقترحَتها الجمعية الثانية الخاصة بأفريقيا المنبثقة عن سينودس الأساقفة، لتنفيذ رسالة الكنيسة، أودّ أن استرجع بعض النقاط التي سبق وتمّت الإشارة إليها على وجه عام.
١٤٨ـ يقدّم لنا إنجيل يوحنا في الفصل الخامس مشهدا مثيرا بالقرب من بركة بيت حِسدا. «كان مضجعا هناك جمهور كثير من المرضى من عميان وعرج ويابسي الأعضاء، ينتظرون تحريك الماء» (الآية ٣)، أي فرصة الشفاء. وكان بينهم «رجل سقيم منذ ثمان وثلاثين سنة» (الآية ٥)، لكن لم يكن لديه أحد يساعده على النزول في البركة. وإذا بيسوع يدخل في حياته. كل شيء تغيّر عندما قال له يسوع: «قم، احمل سريرك وامشِ!» (الآية ٨). يقول الإنجيلي: «للوقت، برئ الرجل» (الآية ٩). لم يعد محتاجا لماء البركة.

١٤٩ـ ترحيب يسوع يقدّم لأفريقيا شفاء أكمل وأعمق من كلّ شفاء. كما أعلن الرسول بطرس في أعمال الرسل (٣، ٦)، أكرّر أن لا الذهب ولا الفضة هو ما تحتاج إليه أفريقيا في المقام الأوّل؛ إنها تودّ أن تنتصب على قدميها على غرار رجل بركة بيت حِسدا. تحب أن تثق بذاتها، بكرامتها كشعب يحبّه إلهه. فهذا اللقاء مع يسوع هو ما يجب على الكنيسة أن تقدّمه للقلوب الممزّقة والجريحة والمتشوّقة إلى المصالحة والسلام، والعطشى إلى العدالة. علينا أن نقدّم ونعلن كلمة المسيح التي تشفي وتحرّر وتصالح.

ثانيا: كلمة الله والأسرار المقدّسة

أ) الكتاب المقدس

١٥٠ـ القديس إيرونيموس يقول أن «من يجهل الكتاب المقدّس، يجهل المسيح»[١٩٩]. قراءة كلمة الله وتأمّلها لا تمنحنا «فضل معرفة يسوع المسيح» (فيليبي ٣، ٨) فقط، بل وتمتدّ بجذورنا في المسيح وتوجّه خدمتنا في سبيل المصالحة والعدالة والسلام. إن الاحتفال بالإفخارستيا، حيث الجزء الأول منها هو طقس الكلمة يمثّل المصدر والذروة. لذلك أحبّذ تعزيز رسالة الكتاب المقدس في كل جماعة مسيحية، وفي الأسرة وفي الحركات الكنائسية.

١٥١ـ عسى أن يكتسب كل مؤمن مسيحي عادة قراءة الكتاب المقدس يوميّا! قراءة متأنّية في الإرشاد الرسولي حديث العهد «كلمة الرب»، تورد تعليمات رعوية مفيدة. لا بدّ إذن من تلقين المؤمنين تقليد «القراءة الإلهية(LECTIO DIVINA)» المكرّم والمفيد. إنما كلمة الله هي التي بوسعها أن تساعد على معرفة يسوع المسيح، وتحقيق التوبة التي تؤدّي إلى المصالحة، لأنها تميّز أفكار القلب ونيّاته« (عبرانيين ٤، ١٢). وآباء السينودس يشجّعون الجماعات المسيحية في الرعايا و CEV/.SCC والأسَر والجمعيات والحركات الكنائسية على تخصيص أوقات لتأمّل كلمة الله . سيشكّلون بذلك مواقع قراءة وتأمّل واحتفال مشترك بكلمة الله[٢٠٠]، التي تبني جماعة تلاميذ المسيح. هذه الكلمة تجدّد على الدوام الشركة الأخوية (راجع ١ بطرس ١، ٢٢ـ٢٥).

١٩٩ «تفسير نبوءة أشعيا، المقدّمة»، مجموعة الآباء اللاتين ٢٤، ١٧.
٢٠٠ راجع الاقتراح ٤٦.

ب) الإفخارستيا

١٥٢ـ لبناء مجتمع متصالح وعادل ومسالم، الطريقة الأكثر فعالية هي حياة شركة حميمة مع الله والآخرين. في الواقع، ينضم حول مائدة الرب رجال ونساء من نسَب وثقافة وعرق ولسان وإتنية مختلفة. إنّهم يشكّلون وحدة متماسكة بفضل جسد المسيح ودمه. بفضل الكلمة والجسد والدم، يصبحون بواسطة مسيح الإفخارستيا أقارب بالدم، إذن إخوة وأخوات حقيقيين، رابطة الأخوّة هذه أقوى من رابطة أسَرنا البشرية ورابطة قبائلنا. «لأن الذين سبق فعرفهم، سبق فحدّد أن يكونوا مشابهين لصورة ابنه حتّى يكونَ بكرا ما بين إخوةٍ كثيرين» (روميه ٨، ٢٩). مثل يسوع يجعلهم قادرين على أن يحبّ بعضهم بعضا، ويبذلوا حياة بعضهم لبعض، لأن الحبّ الذي يتلقّاه كل واحد منهم، يجب نقله بالفعل والحق[٢٠١]. فالأمر إذن يستدعي بالضرورة الاحتفال يومَ الأحد بيوم الرب، وكذلك في أيام الأعيادالملزمة.

١٥٣ـ ليس غرضي الآن تقديم شرح لاهوتي عن الإفخارستيا. في الإرشاد الرسولي «سر المحبّة» المنبثق عن السينودس، سجّلت ذلك بخطوط عريضة. أما هنا فأناشد كنيسة أفريقيا بأسرها أن تُعنى بنوع خاص بالاحتفال بالإفخارستيا، ذكرى ذبيحة يسوع المسيح، وعلامة الوحدة ورابطة المحبّة، والوليمة الفصحية وعربون الحياة الأبدية. ينبغي الاحتفال بالإفخارستيا بوَقار وجمال مع التقيّد بالقواعد المتّبعة. والسجود للقربان، الشخصي أوالجماعي، سيتيح التعمّق بهذا السر العظيم. في هذا السياق قد يُحتفَل بمؤتمر إفخارستي قارّي، قد يكون سندا لمجهود المسيحيين في حرصهم على الشهادة لقيَم الوحدة الأساسية في سائر المجتمعات الأفريقية[٢٠٢].

---

٢٠١ بينيدكت السادس عشر، «سرّ المحبّة»، إرشاد رسولي منبثق عن السينودس (٢٢ فبراير ٢٠٠٧)، ٨٢؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٩ (٢٠٠٧)، ١٦٨ـ١٦٩؛ له أيضا، «الله محبّة»، رسالة عامّة (٢٥ ديسمبر ٢٠٠٥)، ١٤؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٨ (٢٠٠٦)، ٢٢٨ـ٢٢٩.

٢٠٢ راجع الاقتراح ٨.

١٥٤ـ لضمان احترام سرّ الإفخارستيا، يذكّر آباء السينودس أن الكنائس والمصلّيات أماكن مقدّسة، يجب تخصيصها للاحتفالات الطقسية لا غير، مع التجنّب قدر الإمكان أن تقتصر على تمثيل مجرد مقارّ للقاءات اجتماعية أو ثقافية. ينبغي تعزيز وظيفتها الأولى ألا وهي كونها مواقع مميّزة للقاء بين الله وشعبه، بين الله وخليقته الأمينة. كما ينبغي أيضا العمل على أن تكون هندسة أماكن العبادة لائقة بالسر المحتفَل به ومتفقة مع التشريعات الكنسية والأسلوب المحلّي. هذه الأبنية يجب تنفيذها تحت رعاية الأساقفة وبعد استشارة أشخاص مختصّين بالطقوس والهندسة المعمارية، لكي يُقال عند تخطي عتبتها «إن الرب بلا شكّ في هذا المكان [...] هوذا بيت الله، هوذا باب النعيم» (تكوين ٢٨، ١٦ـ١٧). وهذه الأماكن تفي أيضا غرضها ، إذا قدّمت المساعدة للجماعة المتجدّدة بالإفخارستيا وغيرها من الأسرار المقدّسة، لمتابعة الاحتفال في حياتهم الاجتماعية، مخلّدين بذلك مثل المسيح نفسه (راجع يوحنا ١٣، ١٥)[٢٠٣]. هذا الالتزام الإفخارستي[٢٠٤] مطروح على كلّ ضمير مسيحي (راجع ١ كورنتس ١١، ١٧ـ٣٤).

ج) المصالحة

١٥٥ـ لمساعدة المجتمعات الأفريقية على الشفاء من جروح الانقسام والبغض، يدعو آباء السينودس الكنيسة إلى التذكّر أنها تحمل في ذاتها نفس الجروح والأوجاع. فهي تحتاج إذن إلى الشفاء من الرب لتشهد شهادة قابلة للتصديق، أن سرّ المصالحة يعالج ويشفي القلوب الجريحة. هذا السر يجدّد الروابط المحطّمة بين شخص الإنسان والله، ويصلح روابط المجتمع. يهذّب أيضا قلوبنا وعقولنا لنتعلّم أن تعيش «بقلب واحد، مشفقين بعضنا على بعض، بمحبّة أخوية، رحماء، متواضعين» (١ بطرس ٣، ٨).

٢٠٣ بينيدكت السادس عشر، «سرّ المحبّة»، إرشاد رسولي منبثق عن المجمع (٢٢ فبراير ٢٠٠٧)، ٥١؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٩ (٢٠٠٧)، ١٤٤.

٢٠٤ نفس المرجع، ٨٣؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٩ (٢٠٠٧)، ١٦٩.

١٥٦ـ أذكّر بأهمية الاعتراف الشخصي الذي لا يُستعاض عنه بأي عمل مصالحة آخر أو أية عبادة أخرى. لذلك أشجّع جميع مؤمني الكنيسة، من إكليروس وأشخاص مكرّسين وعلمانيين، أن يعيدوا لسرّ المصالحة مكانته الحقيقية ببعدَيه الشخصي والجماعي[٢٠٥]. الجماعات الخالية من الكهنة لبعد المسافات أو لأسباب أخرى، بوسعها أن تعيش طابع التوبة والمصالحة الكنائسي بطرق مختلفة عن سرّ التوبة. فالمسيحيون الذين في ظروف غير عادية بوسعهم أن يشاركوا بذلك في مسيرة الكنيسة وتوبتها. كما أشار آباء السينودس، الطريقة المختلفة عن سرّ التوبة يمكن اعتبارها بمثابة وسيلة لإعداد المؤمنين على قبول مفيد لهذا السر[٢٠٦]، لكن لا يمكن أن تصبح قاعدة مألوفة، وبالأحرى لا يمكن أن تعوّض من السر نفسه. أناشد من صميم قلبي الكهنة أن يعيشوا هذا السر شخصيا ويكونوا حقّا مستعدّين للاحتفال به.

١٥٧ـ تعزيزا للمصالحة بصفتها الجماعية، آمل، كما فعل آباء السينودس، أن يُحتفل كل سنة في كل بلد أفريقي «بيوم أو بأسبوع المصالحة»، لا سيما في فترتَي المجيء والصوم الأربعيني»[٢٠٧]. ندوة أساقفة أفريقيا ومدغشقر (S.C.E.A.M) بوسعها أن تساهم في تحقيق ذلك وتعلن ـ بالاتفاق مع الكرسي الرسولي ـ سنة مصالحة على مستوى القارة، طالبين من الله غفرانا خاصّا عن كل الإساءات والإصابات التي تبادلها الناس في أفريقيا، ولكي يتصالح الأفراد والجماعات الذين أهينوا في الكنيسة وفي المجتمع بجملته[٢٠٨]. المقصود من ذلك سنة يوبيل فوق العادة «ترفع في أثنائها كنيسة أفريقيا والجزر المجاورة الشكر مع الكنيسة الجامعة، وتصلّي لنيل مواهب الروح القدس»[٢٠٩]، وفي مقدّمتها هبات المصالحة والعدالة والسلام.

---

٢٠٥ راجع الاقتراح ٥.

٢٠٦ راجع الاقتراح ٦؛ يوحنا بولس الثاني، «المصالحة والتوبة»، إرشاد رسولي منبثق عن السينودس (٢ ديسمبر ١٩٨٤)، ٢٣؛ أعمال الكرسي الرسولي ٧٧ (١٩٨٥)، ٢٣٣ـ٢٣٥.

٢٠٧ الاقتراح ٨.

٢٠٨ المرجع نفسه.

٢٠٩ المرجع نفسه.

١٥٨ـ لنجاح هذه الاحتفالات لا يخلو من فائدة العمل بنصيحة أباء السينودس: «ذكرى عظماء الشهود الذين بذلوا حياتهم في خدمة الإنجيل والخير العام أو دفاعا عن الحقيقة وحقوق الإنسان، ينبغي الحفاظ عليها وإقامتها بأمانة»[٢١٠]. في هذا الصدَد، القديسون هم كواكب حياتنا الحقيقية «وقد عرفوا كيف يعيشون باستقامة. إنهم النور والأمل. لا شكّ في أن يسوع المسيح هو النور الأمثل، الشمس التي أشرقت على ظلام التاريخ. لكن للوصول إليه نحتاج أيضا إلى أنوار قريبة منا ـ أي إلى أشخاص يمنحون النور المُقتبَس من نوره ويدلّونا على وُجهة مسيرتنا»[٢١١].

ثالثا: البشرى الإنجيلية الجديدة

١٥٩ـ قبل أن نختم هذه الوثيقة، أودّ أن أعود من جديد إلى مهمّة الكنيسة في أفريقيا، وهي التعهّد بالبشرى الإنجيلية، لكي تمتثل القارة الأفريقية كل يوم بالمزيد بتعاليم المسيح التي لم تفقد واقعيتها، فهو «نور العالم الحقيقي» و «ملح الأرض» النقي.

أ) ناقلو المسيح «نور العالم»

١٦٠ـ عمل البشرى الإنجيلية الملحّ يتمّ تحقيقه بطرق مختلفة، وفق الظروف المتغيّرة في كل بلد. «بالمعنى الأصلي هناك «الإرسال إلى الأمم» نحو الذين لا يعرفون المسيح. وبالمعنى الموسّع هناك «البشرى الإنجيلية» الخاصّة بالمنهج الرعوي المألوف و «البشرى الإنجيلية الجديدة»، نحو الذين لم يعودوا يسلكون السلوك المسيحي»[٢١٢]. البشرى الإنجيلية وحدها، المقتبسة حيويّتها من الروح القدس، تصبح «شريعة الإنجيل الجديدة»

٢١٠ الاقتراح ٩.

٢١١ بينيدكت السادس عشر، «خالصون بالرجاء»، رسالة عامّة (٣٠ نوفمبر ٢٠٠٧)، ٤٠؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٩ (٢٠٠٧)، ١٠٢٥.

٢١٢ راجع مجمع عقيدة الإيمان، «ملحوظات عقائدية حول بعض وجوه التبشير» (٣ ديسمبر ٢٠٠٧)، ١٢؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠٠ (٢٠٠٨) ، ٥٠١.

وتثمر ثمارا روحية[٢١٣]. لبّ كل نشاط إنجيلي هو إعلان شخص يسوع، كلمة الله المتجسد (راجع يوحنا ١، ١٤)، الذي مات وقام، وهو حاضر على الدوام في جماعة المؤمنين، في كنيسته (أنظر متى ٢٨، ٢٠). إنها مهمّة ملحّة لا بالنسبة لأفريقيا وحدها، بل وللعالم بأسره، نظرا لأن الرسالة التي عهد بها المسيح لكنيسته لم تبلغ بعد التحقيق التام.

١٦١ـ «إنجيل يسوع، المسيح، ابن الله» (مرقس ١، ١) هو الطريق الأمين للقاء بشخص الرب يسوع. البحث في الكتب يتيح لنا المضي في اكتشاف وجهه الحقيقي، الذي يكشف الله الآب (راجع يوحنا ١٢، ٤٥)، وعمله الخلاصي. «العودة إلى اكتشاف مركزية الكلمة الإلهي في الحياة المسيحية، يتيح لنا العثور من جديد على المعنى العميق الذي شدّد عليه البابا يوحنا بولس الثاني بقوّة: متباعة «الإرسال إلى الأمم» والمبادرة بكل القوى إلى بشرى إنجيلية جديدة»[٢١٤].

١٦٢ـ على الكنيسة في أفريقيا أن تعيش ـ على هدى الروح القدس ـ سرّ الخلاص، وتعلنه للذين لم يعرفوه بعد. والروح القدس الذي ناله المسيحيون في المعمودية، هو نار الحب الذي يدفع إلى عمل التبشير بالإنجيل. بعد العنصرة، خرج التلاميذ «ممتلئين من الروح القدس» (أعمال ٢، ٤)، خرجوا من العلّية، حيث كانوا محتجبين خوفا، ليعلنوا بشرى يسوع المسيح السعيدة. وحادثة العنصرة تتيح لنا إدراكا أفضل لرسالة المسيحيين «نور العالم» و «ملح الأرض» في القارّة الأفريقية. من خاصّية النور الانتشار وإضاءة العدد الكبير من الإخوة والأخوات الذين ما زالوا في الظلام. و «الإرسال إلى الأمم» يُلزم جميع مسيحيي أفريقيا. عليهم ـ بدافع من الروح القدس ـ أن يصبحوا ناقلين ليسوع المسيح، «نور العالم، إلى القارّة برمّتها، وسائر مجالات الحياة: الشخصية والأسَرية والاجتماعية. لقد أبرز آباء السينودس الضرورة الملحّة للبشرى الإنجيلية ، رسالة الكنيسة

٢١٣ راجع القديس توما الأكويني، «الخلاصة اللاهوتية»، الجزء الأول من الثاني، المسألة ١٠٦، الردّ الأوّل.

٢١٤ بينيدكت السادس عشر، «كلمة الرب»، إرشاد رسولي منبثق عن المجمع (٣٠ سبتمبر ٢٠١٠)، ١٢٢؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠٢ (٢٠١٠)، ٧٨٥.

وهويّتها الحقيقية»[٢١٥].

ب) شهود المسيح القائم من بين الأموات

١٦٣ـ ما زال الرب يسوع يناشد مسيحيي أفريقيا في يومنا هذا أيضا أن يكرزوا باسمه «لجميع الشعوب بالتوبة وغفران الخطايا» (لوقا ٢٤، ٤٧). لذلك هم مدعوون إلى أن يشهدوا للرب القائم من بين الأموات (راجع لوقا ٢٤، ٤٨). لقد أبرز آباء السينودس أن البشرى الإنجيلية «قائمة في جوهرها على تقديم الشهادة للمسيح بقوّة الروح، عن طريق الأفعال، ثم بالأقوال، بروح انفتاح على الآخرين، واحترامهم وحوارهم، مع الاعتماد على القيَم الإنجيلية»[٢١٦]. وفي ما يخصّ كنيسة أفريقيا، على هذه الشهادة أن تكون في خدمة المصالحة والعدالة والسلام.

١٦٤ـ إعلان الإنجيل يجب أن يكتسب في القارّة الأفريقية من جديد حيويّة البشرى الإنجيلية في مطلعها، بشرى منسوبة إلى الإنجيلي مرقس، على رأس «جمهور غفير من القدّيسين والشهداء والمعترفين والعذارى»[٢١٧]. ينبغي الالتحاق بحماس بمدرسة عدد كبير من المرسلين، الذين على مدى قرون طويلة ضحّوا بحياتهم لنقل البشرى السعيدة إلى إخوتهم وأخواتهم الأفريقيين. وفي أثناء هذه السنوات الأخيرة أقامت الكنيسة في عدّة بلدان الذكرى المئوية للبشرى الإنجيلية. لقد أحسنت في بذل جهودها لنشر الإنجيل بين الذين لا يعرفون بعد اسم يسوع المسيح.

١٦٥ـ لكي يكتسب هذا المجهود كل يوم المزيد من الفاعلية، ينبغي «للإرسال إلى الأمم» أن يمضي جنبا إلى جنب مع البشرى الإنجيلية الجديدة. في أفريقيا أيضا، الأوضاع التي تتطلّب طرحا جديدا للإنجيل، «جديدا في

---

٢١٥ الاقتراح ٣٤

٢١٦ المرجع نفسه، أنظر بولس السادس، «البشرى الإنجيلية»، إرشاد رسولي (٨ ديسمبر ١٩٧٥)، ٢١؛ أعمال الكرسي الرسولي ٦٨ (١٩٧٦) ١٩ـ٢٠.

٢١٧ يوحنا بولس الثاني، «الكنيسة في أفريقيا»، إرشاد رسولي منبثق عن السينودس (١٤ سبتمبر ١٩٩٥) ٣١؛ أعمال الكرسي الرسولي ٨٨ (١٩٩٦) ٢١.

حيويّته، في مناهجه وفي تعبيراته»[٢١٨]، ليست نادرة. ينبغي أن تدمج البشرى الإنجيلية الجديدة، بصفة خاصّة، البعد الثقافي للإيمان، في الخبرة الحيّة للقاء مع يسوع المسيح، الحاضر والعامل في الجماعة الكنائسية، لأن العلّة الأولى لكون إنسان ما مسيحيا ليس قرارا أخلاقيا أو فكرة كبرى، بل اللقاء مع حادثة، مع شخص يفتح أمام الحياة أفقا جديدا، وبالتالي يحدّد وجهتها الحاسمة. فالتربية المسيحية ينبغي إذا أن تدمج الناحية النظرية ـ المتمثّلة في معلومات تُحفظ على ظهر القلب ـ مع الناحية العملية المعاشة على الصعيد الطقسي والروحي والكنائسي والثقافي والخيري، لكي تمدّ بذرة كلمة الله التي سقطت على أرض طيبة، تمدّ جذورها العميقة ويتسنّى لها النمو وبلوغ النضج.

١٦٦ـ لحدوث ذلك لا بدّ من استخدام مناهج جديدة متاحة في أيامنا. عند التحدّث عن وسائل الاتصال الاجتماعي التي مرّ ذكرها، لا ينبغي أن ننسى ما أبرزتُه مؤخّرا في الإرشاد الرسولي «كلمة الرب» المنبثقة عن السينودس: «القديس توما الأكويني، في معرض ذكره للقديس أغسطينوس، يؤكّد بقوّة: «حتى حرف الإنجيل يقتل، إذا خلا من نعمة الإيمان الروحية الشافية»[٢١٩]. إزاء هذا الواقع، لا ننسَ قط أنه ليس هناك أية وسيلة يُستعاض بها عن الاتصال الرعوي والإعلان الشفوي، وكذلك عن شهادة حياة مسيحية أصيلة. هذا الاتصال الشخصي وهذا الإعلان الشفوي يجب أن يعبّرا عن الإيمان الحي الذي يُلزم الحياة ويغيّرها، ومحبة الله التي تبلغ كل إنسان وتحرّك مشاعره كما هو.

د) مرسلون أتباع المسيح

١٦٧ـ الكنيسة السائرة في أفريقيا مدعوة إلى المساهمة في البشرى الإنجيلية الجديدة حتّى في البلدان المتعلمنة، التي كان يقدم منها سابقا عدد كبير من المرسلين واليوم تفتقر ـ ونقولها بأسف ـ إلى الدعوات

٢١٨ له أيضا «خطة للإساقفة أعضاء مجلس أساقفة أمريكا اللاتينية» (٩ مارس ١٩٨٣)؛ أعمال الكرسي الرسولي ٧٥ (١٩٨٣)، ٧٧٨.

٢١٩ أنظر رقم ٢٩؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠٢ (٢٠١٠)، ٧٠٨.

الكهنوتية والحياة المكرّسة. في نفس الوقت، عدد كبير من الأفريقيين والأفريقيات، قبلوا دعوة ربّ الحصاد (راجع متى ٩، ٣٧ـ٣٨) ليعملوا في كرمه (راجع متى ٢٠، ١ـ١٦). من غير التقليل من الدفعة الإرسالية »نحو الأمم« في مختلف البلدان وفي القارة بأسرها، على أساقفة أفريقيا أن يقبلوا بسخاء طلبات زملائهم في البلدان المفتقرة إلى الدعوات ومساعدة المؤمنين الذين لا كهنة لهم. هذا التعاون الذي ينبغي تنظيمه بواسطة اتفاقيات بين الكنيسة الباعثة والكنيسة المتلقّية، يصبح علامة محسوسة لخصب «الإرسال نحو العالم». والرب، الراعي الصالح (راجع يو ١٠، ١١ـ١٨)، يبارك هذا الإرسال، الذي يساند أيضا مساندة مرموقة البشرى الإنجيلية الجديدة في البلدان ذات التقليد الكنسي القديم.

١٦٨ـ إعلان البشرى السارّة يخلق في الكنيسة ظواهر جديدة، ملائمة لاحتياجات الزمن والثقافات وتوقّعات البشر. الروح القدس لا يتأخّر في بعث رجال ونساء في أفريقيا أيضا، ينضمّون في جمعيات وحركات وجماعات مختلفة، ويكرّسون حياتهم لنشر إنجيل يسوع المسيح، وفق وصيّة رسول الأمم : «لا تطفئوا الروح، لا تزدروا النبوّات، امتحنوا كل شيء وتمسّكوا بما هو حسن، امتنعوا من كل شبه شرّ» (١ تسالونيكي ٥، ١٩ـ٢٢). من واجب الرعاة السهَر على هذه الظواهر الجديدة لخصب الإنجيل الدائم، لدمجها في النشاط الرعوي في الرعايا والإيبارشيات.

١٦٩ـ الأخوة والأخوات الأعزّاء، على ضوء موضوع الجمعية الثانية الخاصة بأفريقيا، البشرى الإنجيلية الجديدة تعني بنوع خاص خدمة الكنيسة في سبيل المصالحة والعدالة والسلام. وبالتالي، لا بدّ من قبول نعمة الروح القدس الذي يدعونا: «تصالحوا مع الله» (٢ كورنتس ٥، ٢٠). فالمسيحيون إذن مدعوون جميعا إلى المصالحة مع الله. بذلك سيتسنّى لكم أن تصبحوا روّادا للمصالحة في نطاق الجماعات الكنائسية والاجتماعية التي تعيشون وتعملون فيها. البشرى الإنجيلية الجديدة تفترض مصالحة المسيحيين مع الله ومع أنفسهم. إنها تتطلّب المصالحة مع القريب وتجاوز الحواجز من كلّ نوع، كاللغة والثقافة والعرق. كلنا أبناء إله واحد وآب

«يُطلع شمسه على الأشرار والصالحين ويُمطر على الأبرار والظالمين» (متى ٥، ٤٥).

١٧٠ـ يبارك الله القلوب المتصالحة ويمنحها سلامه. يصبح المسيح بذلك صانع سلام (أنظر متى ٥، ٩) بمدار جذّره في النعمة المسيحية وتعاونه مع خالقه لبناء موهبة السلام وتنميتها. المؤمن المتصالح يصبح أيضا رائدا للعدالة في ؛كلّ مكان، لا سيّما في المجتمعات الأفريقية المنقسمة، الممزّقة بالعنف والحروب والجائعة والعطشى إلى العدالة الحقيقية. الرب يدعونا: «أطلبوا أولا ملكوت الله وبرّه وكل ذلك يُضاف لكم» (متى ٦، ٣٣).

١٧٧ـ البشرى الإنجيلية الجديدة مهمّة ملحّة من مهام المسيحيين في أفريقيا، لأنه عليهم هم أيضا أن يستأنفوا فخرهم بانتمائهم إلى الكنيسة. إنّهم مدعوون، بإلهام من روح الرب القائم من بين الأموات، إلى عيش البشرى السارّة على الصعيد الشخصي والأسَري والاجتماعي، وإعلانها بغيرة متجدّدة للأقارب والأباعد، مستمدّين المناهج الجديدة التي توفّرها لهم العناية الإلهية لنشرها. والمؤمنون مدعوون إلى إنعاش دعوتهم المسيحية في الأمانة للتقليد الكنسي الحي، مع تسبيح الله الآب، للعجائب التي ما زال يصنعها في كنيسته وفي كل واحد من أعضائها. كما على المسيحيين أن يتابعوا المبادرة الجادّة إلى مسيرة القداسة، بالانفتاح على إلهامات الروح القدس الذي ما زال يبعث مواهب جديدة في الكنيسة، ليصبحوا كل يوم أكثر فأكثر، رسلا للمصالحة والعدالة والسلام.

الختام

«ثق وانهَض، فإنّه يدعوك»

(مرقس ١٠، ٤٩)

١٧٢ـ إخوتي وأخوات الأعزّاء، كلمة السينودس الأخيرة كانت نداء إلى الرجاء أطلقه لأفريقيا. هذا النداء باطل إذا لم يتجذّر في محبّة الثالوث. من الله الآب، ننال كلّنا رسالة وهي ان ننقل لأفريقيا المحبة التي أحبّنا بها المسيح، الابن الوحيد، لكي يحيي الروح القدس عملنا ويؤيّده بالرجاء، فيصبح في الوقت نفسه مصدر رجاء. أودّ تسهيل تنفيذ توجيهات السينودس المتعلّقة بمواضيع شائكة، كالمصالحة والعدالة والسلام، وأملى أن «يتابع اللاهوتيون أبحاثهم في أعماق سر الثالوث ومعناه بالنسبة للإنسان الأفريقي المعاصر»[٢٢٠]. لمّا كانت دعوة كلّ إنسان وحيدة، لا نسمح أن تنطفئ فينا شعلة مصالحة الإنسانية مع الله، عن طريق سرّ خلاصنا في المسيح. فالفداء هو علّة ما في رجائنا من ثقة وحزم «وبه نستطيع مواجهة حاضرنا: والحاضر، مع ما فيه من إرهاق، يمكن أن نعيشه ونقبله إذا قادنا نحو هدف، واستطعنا أن نثق بهذا الهدف، إذا كان عظيما إلى حدّ تبرير مشقّة المسيرة»[٢٢١].

٢٢٠ بينيديكت السادس عشر «خطبة لأعضاء المجلس الخاص بأفريقيا في سينودس الأساقفة» (ياوندي، ١٩ مارس ٢٠٠٩)؛ أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٣١٢.

٢٢١ بينيدكت السادس عشر، «خالصون بالرجاء»، رسالة عامّة (٣٠ نوفمبر ٢٠٠٧)، ١؛ أعمال الكرسي الرسولي ٩٩ (٢٠٠٧)، ٩٨٥.

١٧٣ـ أكرّر وأقول: «إنهضي، يا كنيسة أفريقيا [...] لأن الآب السماوي يدعوك، الآب الذي كان أجدادك يدعونه كخالق، من قبل أن يطّلعوا على قربه الحنون، المكتشَف في ابنه الوحيد يسوع المسيح. بادري إلى مسيرة بشرى إنجيلية جديدة، بما تستمدّينه من الروح القدس من تشجيع»[٢٢٢].

١٧٤ـ وجه البشرى الإنجيلية يُطلق عليه اليوم اسم المصالحة. «الشرط الذي لا بدّ منه لتُنشأ في أفريقيا علاقات عادلة بين الناس، ويُبنى سلام عادل ودائم، مع احترام كل فرد وكلّ الشعوب، سلام [...] ينفتح على مساهمة جميع الأشخاص من ذوي الإرادة الحسنة، بعيدا عن انتماءاتهم الدينية والإتنية واللغوية والثقافية والاجتماعية»[٢٢٣]. عسى أن تصاحب الكنيسة الكاثوليكية بأسرها، أن تصاحب بعطفها إخوة القارّة الأفريقية وأخواتها!. أن يساندهم قديسو أفريقيا بصلواتهم وشفاعتهم[٢٢٤]!

١٧٥ـ «صاحب البيت الحنون، القديس يوسف، الذي يعلم شخصيا وجيّدا، ما معنى أن نضع في اعتبارنا ـ في موقف من الأهبة والأمل ـ مصير الأَسَر ومستقبلها، وقد أصغى إلينا بمحبة، وصاحبنا حتى داخل السينودس نفسه»[٢٢٥]. عسى أن يحمي الكنيسة ويصاحبها في مهمّة خدمتها لأفريقيا، الأرض التي وجدت فيها الأسرة المقدّسة ملجأ وحماية (راجع متى ٢، ١٣ـ١٥)! والقديسة العذراء مريم، أمّ كلمة الله وسيدة أفريقيا، عسى أن تتابع مصاحبتها لسائر الكنيسة بشفاعتها ونداءاتها إلى عمل كلّ ما يقوله لنا ابنها (راجع يوحنا ٢، ٥)! لتساند صلاة مريم، ملكة السلام، التي قلبها متطلّع بالدوام إلى إرادة الله، لتساند سائر مقاصد التوبة وتدعم سائر مبادرات المصالحة وتفعّل كلّ مجهود في سبيل السلام

---

٢٢٢ بينيدكت السادس عشر، «عظة قداس الختام للاجتماع الثاني الخاص بأفريقيا في سينودس الأساقفة» (٢٥ أكتوبر ٢٠٠٩). أعمال الكرسي الرسولي ١٠١ (٢٠٠٩)، ٩١٨

٢٢٣ المرجع نفسه.

٢٢٤ راجع المرجع نفسه.

٢٢٥ بينيدكت السادس عشر، «خُطبة للدائرة الرومانية» (٢١ ديسمبر ٢٠٠٩)، أعمال الكرسي الرسولي ١٠٢ (٢٠١٠) ٣٤.

في عالم جائع ومتعطّش للعدالة (راجع متى ٥، ٦)[٢٢٦].

١٧٦- إخوتي وأخواتي الأعزاء، بالجمعية الثانية لسينودس الأساقفة، الخاصّة بأفريقيا، يذكّركم الرب الصالح الرحوم، بشكل ملحّ، «أنكم ملح الأرض... ونور العالم» (متى ٥، ١٣ و١٤). عسى أن تستطيع هذه الكلمات تلفت أنظاركم إلى كرامة دعوتكم كأبناء الله وأعضاء كنيسة واحدة كاثوليكية ورسولية! هذه الدعوة قائمة على أن يبعثوا في عالم كثيرا ما نجده غارقا في الظلام، ضوء الإنجيل وإشعاع يسوع المسيح، النور الحقيقي الذي «ينير كل إنسان» (يوحنا ١، ٩). على المسيحيين أيضا أن يقدّموا للناس التذوّق بالله الآب، والسعادة بحضوره الخلاق في العالم. إنهم مدعوون أيضا إلى التعاون مع نعمة الروح القدس، لكي تستمرّ معجزة العنصرة في القارّة الأفريقية ويصبح كلّ واحٍ أكثر فأكثر رسول المصالحة والعدالة والسلام.

١٧٧- عسى أن تستطيع الكنيسة الكاثوليكية في أفريقيا أن تمثّل على الدوام إحدى الرئتَين الروحيتَين للإنسانية، وتصبح كلّ يوم بالمزيد بركة للقارّة الأفريقية الكريمة وللعالم بأسره.

صادر عن أويده في بنين، التاسع عشر من نوفمبر سنة ٢٠١١، السابعة لحبريتي.

بينيدكت
السادس عشر

٢٢٦ راجع الاقتراح ٧٥.

مطابع الفاتيكان

الإخراج الفني والطباعة
P.T.W للترجمة والنشر
تليفاكس : ٢٦٦٧٨٩٨٠ - ٢٦٦٧٨٩٨١ - (٢٠٢+)
E-mail: ptw@ptwegypt.com
www.ptwegypt.com